تاريخ غرناطة ومالقة
المطلوب منه جا ودفتر
في الجيراف

٧٢٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة الكتاب وأول كلام الخلق يوم الحساب وآخر دعوى أهل الثواب وصلى الله على سيدنا محمد المختار من لب اللباب وارض عن آله وصحبه وأكرم بهم من آل وأصحاب وجدد الله أيام هذه الوزارة السنية البحرية ما تكررت السنون والأحقاب وبعد فإنه لما كان من شيم سيدنا الوزير السعيد الميمون الموفق السديد المبارك الجيد الأعظم الأكرم الأنبه الأفخم الأسعد الأعظم الفارس البطل الشجاع الأحمى الهمام الطاهر الأسمى أبو علي بن سيدنا الوزير الكبير الشهير الجليل قدره الجليل أبو محمد عبد الله بن علي بن سعيد اليابائي الذي سار مسير الشمس ذكره وعلا في الآفاق والأسماع ثناؤه الجميل وشكره وحلت أبصار ذوي البصائر إلى الوقت السعيد الذي تحلى فيه بدوره بين الدهور

لتعرف تواريخ الدول وأخبار العصور الأول أردت أن أطالع وزارته السنية وسياسته اليابانية الخفية أسعد الله أعصارها وكثر أعوانها وأنصارها بكتاب مختصر يشتمل على ذكر من أسس مدينة فاس كلأها الله تعالى من الأدارسة الحسنيين وبنا جامع القرويين والأندلسيين يكون تذكرة لما تقدم له في ذلك سلوك وتبصرة لمن أقيم في خدمة الوزراء والملوك بعد أن استخرت الله تعالى في ذكر فالهمني إليه وسهله تبارك وتعالى علي كل ذلك بتيسير الله تعالى وبركة هذه الوزارة الكريمة التي سرت الرفاق في الآفاق بمناقبها العظيمة وأمنها أعزها الله تعالى للوزارة التي أخبرت لها العناية الربانية صادق موعودها وأطلعت أهلة السعادة في أسعد بروج سعودها وعلت بأبي عليها فصار كل أيام سنيها أسنا وشهورة كعبيها وانعقدت وزارته السعيدة بيده الكريمة مقاليدها ورفعت إليه أحاديثها الحسنة وصححت أسانيدها وجرت السعادة أذيالها وأجرت في ميدان الأفراح خيول الأفراح ممزقت مداها فيه ومجالها وأبدت عليه غررها وحجولها حين أجابته فإنا من مكارم الأخلاق ولا لها فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها وكيف لا وقد اشتمل أعزه الله على الفضل العظيم والحسب الصميم وحاز من الفضائل أشرف المناصب ومن النسب العربي ما لاح به قمرا منيرا فاق من أفق المناصب وكم كان

النسب العربي جاد على هذه الوزارة الميمونة من الطالع السعد الخفية وصنائعه الخفية ما ظهرت أسراره وبهرت أنواره وعلم العباد أن عناية الله بهم غير مقطوعة وأياديهم لديه غير ممنوعة وأعطاه الله تعالى من الحلم والسماحة والمهابة والشجاعة والكمال ما سارت به تضرب الأمثال وتسير بحديثهم الشمس الصحيح السيارة والركبان ولديه أعزه الله من الصفات العزيزة والمآثر الدالة على علو الهمة وشرف القدر ما يكاثر عدد القطر ولا يدخل تحت العد والحصر

لرحمة لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

والله تعالى يجلي جداره ويكتب في الصالحة آثاره ولكل ذي بحور وسيلة يقدمها بين يدي نجواه وخدمة يصدق بها عند الاختبار دعواه فقدمت بين يديه بجوده هذه الخدمة بهذا الكتاب وأعددته وسيلة نافعة إن شاء الله لحصول الطلاب والله يجعل ممنوح ذلك من هذه الوزارة السعيدة الموقع الذي تجلى فائدته وتحمد إن شاء الله عاقبته ويحتوي هذا المختصر على ما أبثه والله يعصم من الزيغ والميل

الباب الأول

في ذكر من أسسها من الأدارسة الحسنيين وما جاء من الثناء عليها وعلى سكانها من العلماء المرضيين

الباب الثاني في ذكر من أدارها بالأسوار وزاد فيها الزيادات وذكر جامعيها العتيقين وما انتهت إليه من الأدر والأرحي والحمامات

الباب الأول

في ذكر من أسسها من الأدارسة الحسنيين وما جاء من الثناء عليها وعلى سكانها من العلماء المرضيين هذا الباب يستدعي الكلام على فضل الإقليم الذي هي فيه وتحقيق أصقاعه وحكم أرضه وأول من افتتحه وسبب قدوم مولى الله إدريس إليه وذكر عقبه الذين أسسوا فاسا واستولوا عليها إلى غير ذلك مما يتعلق به من التنبيه عليه والتذكير بما انضاف من الأمور إليه

أما فضله فقد روي عن سفيان بن عيينة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن بالمغرب بابا للتوبة مسيرته أربعون خريفا لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها نقله ابن الرقيق وغيره وفي الصحيحين من رواية سعد بن أبي وقاص وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وأهل المغرب هم أهل المغرب الذي هو ضد المشرق على أحد التأويلات وحقيقة المغرب هو المكان الواقع في شق المغرب قال أحد الشعراء

المغرب شخص طليح ولي الليل عليه
البدر يرقب منه والشمس تجري اليه

وحكي ابن جلجل في طبقات الاطباء ان ملك اليونانيين كتب الى عامله بارض بابل ان يبعث بقراط الحكيم بتبجيل وتكريم وامره ان يدفع اليه حملة من قناطير الذهب لينتقل من الارض التي بها فتعاجه الى بلد اليونانيين فابى بقراط عن ذلك وامتنع وما ذاك الا لفضل اقليمه على غيره وارض بابل من الاقليم الرابع الذي فاس منه وحكى العرنشي في كتاب المغرب له عن الجرجاني وزير الظاهر لاعزاز دين الله احد ملوك العبيديين ان الظاهر قال لوزيره اني اريد ان اسمع كلام المغاربة فقال له هنا شيخ يعرف بابي مسلم الموفق فقال له استمعني كلامه فجلس الظاهر خلف حجاب واحضر وزيره الدولة ووجه نحو الموفق فلما وصل سلم وقعد وتكلم معه باشياء اضحك بها الى ان قال له الوزير بلغنا ان الدنيا شبهت بطائر فالمشرق راسه واليمن جناحه الواحد والشام جناحه الاخر والمغرب ذنبه فقال له ابو مسلم صدقوا والطير طاوس فضحك الظاهر وقال حسبنا وانصرف واول بلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة وجبال اوثان في الشرق وهذه الجبال آخر عمل مصر واول عمل القيروان وينقسم المغرب على ثلاثة اصقاع الصقع الاول هو موضع افريقية من جبال برقة واوثان الى جبال تغوست الصقع الثاني المغرب الاوسط واوله تاهرت الى سبتة الى جبال دران الصقع الثالث السوس الاقصى وحده من المغرب الى البحر الاعظم جنوبا الى صحراء المرابطين وهذا الاقليم الرابع بعد الاوسط من الاقاليم السبعة التي رسمها حكماء الهند وهو اعمرها وفيه ارض بابل وجزيرة العرب وبقية بلاد البربر في اقصى المغرب وبعض صور جزيرة الاندلس كاشبيلية وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية ودقة مراد الا عند الله اعتدلت ابدان اهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبش وغلظ الترك وجفاء اهل الجبال ودعابة اهل الصين فكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة والذكاء والعلم ذكر معنى ذلك صاحب المدهش وغيره وهذا الاقليم عند الحكماء كريم البقعة طيب التربة مخصب الساحة كثير العيون والانهار العذاب قليل الهوام ذوات السموم معتدل الهواء في الفصول الاربعة على قدر متقارب من الاعتدال تتصل فوائده وفواكهه في كل الازمنة

وأما حكم

واما حكم ارضه فقال ابو الحسن بن القابسي في شرح موطا مالك رحمه الله في كتاب الجهاد اختلف الناس في ارض المغرب هل افتتحت عنوة او صلحا او مختلطة على ثلاثة اقوال الاول الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها افتتحت عنوة لانه جعل في المعادن النظر للامام ولو صح ذلك لم يجز لاحد بيع شيء منها كارض مصر وطنجة لانهما افتتحتا بالسيف الثاني قيل صلحا صالحوا عليها اهلها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض الثالث انها مختلطة هرب بعضهم من بعض فتركوها فمن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله اعلم وقال الراوي في كتب الاقوال بعد بسط كلام في ذلك ان الذي يوجبه النظر فيها ان تجري على ما توالت عليه القرون الماضية من امرها وتقر بايدي مالكيها الا ما تواترت فيه الاخبار انه غصب او خلى عنه اهله وقال التادلي الحافظ ان ارض المغرب اسلم عليها اهلها وحكي ان احد عمال المنصور بن ابي عامر حين تغلب على ارض فاس قال لهم اخبروني عن ارضكم اصلح هي ام عنوة فقالوا الجواب عندنا حتى ياتي الشيخ يعنون ابا جيدة من احد اليزغتني فجاء ابو جيدة فساله فقال ليست بصلح ولا عنوة انما اسلم عليها اهلها فقال لهم خلصكم الرجل وابو جيدة هو المدفون بخارج باب بني مسافر احد ابواب فاس والدعاء عند قبره مستجاب وله نفع الله به كرامات من اراد الوقوف عليها فليطالع كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد والذي الفه الشيخ الزاوية ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي المعروف بالكتاني واما سبب نزول البربر في ارض المغرب من ارض فلسطين من الشام فانه ملكها جالوت لما قتله داود عليه السلام جاءت البربر الى المغرب فتفرقت في تلك البلاد من موضع القيروان الى ساحل البحر الاندلسي وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم فجاءت الروم اماسهم الى صقلية وهي جزيرة عظيمة في البحر تحاذي بلاد افريقية ثم رجع الافارقة من الروم الى مدائنهم على صلح من البربر اذ كرهت البربر نزول المدائن فنزلوا الجبال والرمال والفحوص لكونهم اصحاب ابل وغنم

وبقر وسكان بيوت أدم وشعر فعادت المدن روحية والجبال والصحاري بربرية
وهم يعيشون على اديان مختلفة ثم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة الخلفا
الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وصدر دولة بني امية ولي
يزيد بن معاوية منهم عقبة بن نافع الفهري على بلاد المغرب في سنة اثنين وستين
من الهجرة واستفتح معظمه الى ان بلغ البحر الاعظم حيث ماسة وادخل فيه
قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقيل له على من تسلم يا ولي الله
فقال انهم ان قوم علي   السلام سلموا علي فسلمت عليهم ولولا
البحر ما يكلم اياهم واسلم على يديه اذ ذاك بعض من بالمغرب وحين رجع
منه ارتد بعض من اسلم ثم ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم موسى
ابن نصير على المغرب ايضا في سنة اثنين وتسعين وسار فيه حتى بلغ
طنجة وسبتة وجاز الى الاندلس واستفتحه مع مولاه طارق بن زياد
واسلم على يديه ايضا بعض من المغرب وحين رجع عنه ارتد ايضا بعض
من اسلم الى ان اراد الله ظهور الاسلام في ساير اقطار المغرب حتى لم
يبق منه موضع الا وعبد الله فيه   سبب قدوم ولي الله
وابن رسول الله ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كذا استفدته من كلام البكري وغيره   وكان
سبب قدوم ولي الله الصالح ادريس من المشرق الى المغرب ما حكاه محمد بن   لعله [illegible]
جرير الطبري وغيره ان اسحاق بن عيسى الامير بالمدينة من قبل الخليفة
موسى الهادي بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور واستخلف عليها عمر بن عبد
العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فطلب منه مخالفة من احكامه
فغير ذلك عليه الحسين بن علي بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ورفض الناس امرته واستدعوا احسنا للبيعة فجلس على المنبر وعليه
عمامة بيضاء وجاء الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه عليه
السلام وجاء خالد البربري في ماتين من الجند فقتل الحسين فقام اليه
ابنا عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهما يحيى
وادريس فضربه يحيى على انف البيضة فقطعها وقطع انفه وشرقت عيناه
بالدم فلم يبصر فبرك وجعل يذب بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر والتوار
ادريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه باسيافهما حتى قتلاه ثم
قاتل بالمدينة شيعة بني العباس وجاء مبارك التركي فقاتلهم واقام
حسين بالمدينة احد عشر يوما واحتبى به بالمسجد فغدروه ولحق بمكة

وكانا

وكان وفد للحج تلك السنة محمد بن سليمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن العباس
والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى في اربعة الاف فارس وعلى المقدمة
سليمان بن ابي جعفر المنصور فالتقوا في الطريق وقد ورد كتاب الهادي بتولية
محمد بن سليمان الحرب فوجد محمد ابا طاهر بن اسماعيل بن علي فلما راد القوم صار
معهم مظهرا به فقتل ثم قاتل محمد بن سليمان الحسين فهزمه وقتله وقتل اكثر من
كان معه واقام ثلاثة ايام ولم يواروا حتى اكلت لحومهم الطير والسباع وكان
ذلك بفخ وهو موضع فيه ماءة على مسيرة ثلاثة اميال من مكة شرفها الله
وكانت هذه الوقيعة في يوم السبت وصادفت يوم التروية الثامن لذي
الحجة من سنة تسع وستين ومائة وحضرت بعد الوفاة محمد بن سليمان
قاتل حسين فجعل جلساءه يلقنونه الشهادة وهو يقول

الا ليت امي لم تلدني ولم اكن   لقيت بفخ الحسين ولا حسن

وفر بعد هذه الوقيعة اغلث ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه على ما حكاه المطرف وانشد في ذلك بعض شعراء الوقت

فلابكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي   تركوه ليس بذي كفن
تركوا بفخ غدوة   في غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا   لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم   غسل الثياب من الدرن
هدي العباد بجدهم   فلهم على الناس المنن

وصار ادريس رضي الله عنه مع مولاه راشد الى مصر وعلى بريدها
واضح مولى صالح بن المنصور فحمله على البريد الى المغرب فوقع لحوقه
بلاد طنجة ثم الى بلد وليلى قاعدة زرهون واستجابت له قبائل البربر
وعلا امره وشاع خبره وهذه البلدة قديمة البنا يذكر انها من بنيان
القبط وهي المعروفة الآن بقصر فرعون من ارض تحلو الاوربيين
وهي متوسطة بين العمارات خصبة كثيرة المياه والعروس والزيتون
وكان لها سور عظيم قد بقي بعضه وفيه عبرة للمعتبرين ولما
وصل ادريس رضي الله عنه الى بلد وليلى نزل على صاحبها اسحاق
ابن محمد بن عبد الحميد الاوربي فاقبل عليه واكرمه وبالغ في بره
وكان نزول ادريس رضي الله عنه بوليلى في اول شهر ربيع الاول
سنة اثنين وسبعين ومائة فاقام عنده والناس يعودونه اليه

اذ دخل شهر رمضان من السنة فبايعه جميع قبائل البربر ولما
تمت له البيعة وتمكن سلطانه وعلا شأنه اتخذ جيشا عظيما من قبائل
البربر وخرج بهم الى بلاد تامسنا ففتح شالة وسائر تلك الحصون
وسار الى تادلا وافتتح حصونها الى ان بلغ تامسنا وكان اكثر هذه
البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والاسلام بها قليل فاسلم
جميعهم على يديه حتى لم يبق بالمغرب من لم يعبد غير الله فيه وقد فتح الصحابة
ومن بعدهم جملة من البلاد ومحق الله بدولة الاسلام دولة الفرس في
العراق وخراسان ودولة الروم بالشام ودولة القبط بمصر واوائل
الهند واقصى الاندلس وبلاد الترك وذلك مما اخبر الرسول عليه السلام
انه كائن وانه صح انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها ولما نزل ادريس رضي الله عنه
خارج تلمسان اتاه اميرها محمد بن خزر المغراوي الخزري وبايعه من
هنالك من القبائل ودخل تلمسان واستقلت له امارة المغرب باسره
اتصل ذلك بالرشيد وخاف واهتم لذلك وخشي ان يتوجه لافريقية فيصل
اليه لما علم من فضله وكان له محبة الناس من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبعث اليه الرشيد من يقتله واختار لذلك سليمان بن جرير البجلي فخرج اليه
من بغداد حتى وصل المغرب وقدم على ادريس بمدينة وليلي فسلم عليه
سليمان وسال ادريس عن اسمه ونسبه وعن اي البلاد قدم وما
سبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالي ابيه وانه اتصل به
خبره فاتاه برسم خدمته لاجل محبته وولايته لاهل البيت اذ لا يعدل
بهم احد ولا يقاس بهم سواهم فانس به ادريس وسكن اليه وشكر
به فكان ادريس لا يقعد ولا ياكل ولا يشرب الا معه ولم يزل يترقب
الفرصة ويعمل الحيلة في قتله فلم يجد الى ذلك سبيلا لملازمة مولاه راشد
له لانه لا يزايله ولا يفارقه الى ان غاب راشد ذات يوم في بعض شؤونه
فدخل اليه فوجده وحده فقال له يا سيدي جعلت فداك اني
جئت من المشرق بقارورة طيب لا تطيب بها ثم اني رايت ان الامام
اولى بها مني فخذها لتتطيب بها فهذا آثرتك بها علي ثم اخرجها
من وعائه ووضعها بين يدي ادريس فاخذ ادريس القارورة
وفتحها وشمها فلما رآه سليمان فعل ذلك وتحصل له مراده منه وتمت
حيلته جعل يتسلل من المجلس وخرج كانه يريد قضاء حاجة الانسان فسار
الى منزله

الى منزله وركب فرسا له من سباق الخيل كان قد اعده لذلك وخرج من وليلي
يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما استنشق ادريس ذا
الطيب الذي بها صعد السم الى خياشيمه واستحال الى دماغه فغشي عليه
وسقط ميتا رحمه الله ورضي عنه في مستهل شهر ربيع الاخر سنة خمس
وسبعين ومائة فكانت ايام دولته سنتين وثمانية اشهر على ما حكاه
الكثير من مالكه قال شاعرهم فيما قال الطغري

اتظن يا ادريس انك مفلت	كيد الخليفة او يقيك فرار
او ان تحل ببلدة لا يهتدي	فيها اليك قرار
ان السيوف اذا انتضاها سخطه	طالت وتقصر دونها الاعمار
ملك كأن الموت يتبع امره	حتى يقال تطيعه الاقدار

ودفن ادريس رضي الله عنه خارج باب وليلي ولم يزل الناس يعتنون بزيارة
قبره ويدعون الى الله من الحوايج فيستجاب لهم وظهر جسده بلغني في
سنة ثمان عشرة وسبعمائة وازدحم الناس عليه من سائر اقطار المغرب
حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث مولانا امير المومنين ابو سعيد
الله يعقوب بن عبد الحق تغمد الله اعمالهم جيشا اشغر بهم عنه وغيبهم
الثانية كما وقف عليه من امر سلطاني يقتضي ذلك ولما توفي الامام
ادريس رضي الله عنه ترك جارية له مولدة من بلاد البربر اسمها كنزة حاملا
فولدت من اشهر حملها وحين دنا وضعها ولدت ولدا ذكرا اشبه الناس بابيه
ادريس وذلك في رجب سنة خمس وسبعين ومائة فسمي باسم ابيه وقام
راشد باموره وامر البربر وكفله الى ان فطم وشب واوده احسن ادب واقراه
القرآن فحفظه وله من السن ثمانية اعوام وعلمه السنة والفقه والشعر
وامثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ودربه ركوب الخيل
والرمي بالسهام ومكايد الحروب ولما كمل له من السن احدى عشرة
سنة اخذ له مولاه راشد البيعة من سائر قبائل البربر فبويع له بجامع
مدينة وليلي في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين ومائة
فقام بالملك من هذا ابن ... جل الله به جده ووفاة والده ومدة كفالة راشد
له عشر سنين وعشرة اشهر وحين اخذت له البيعة صعد المنبر يخطب
الناس في ذلك اليوم فكان مما قال الحمد لله احمده واستغفره واستعينه
وبه اتوكل عليه واعوذ بالله من شر نفسي ومن شر ذي شر واشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله المرسل الى الثقلين بشيرا ونذيرا

وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله الذين اذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف
للمحسن فيه الاجر وللمسيء الوزر ونحن والحمد لله على طريق قصد فلا تمدوا
الاعناق الى غيرنا فان الذي تطلبون من اقامة الحق انما تجدونه عندنا
ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعة الله وطاعته فعجب
الناس من فصاحته وبيانه ورجاحة عقله وبلاغته ثم نزل فسارع الناس
الى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة
واوربة وصنهاجة وغمارة وسائر البربر وتمت له البيعة واستعمل
الناس اليه وتولوها لكل بيت سلطانه وقويت جنوده واشياعه وعظمت
جيوشه واتباعه ومما يذكر عنه انه قال في حال قتاله لمن عانده

اليس ابونا هاشم شد ازره ... واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما يؤول الى النكب
وكنا اهل الحفائظ والنهى ... اذا طار ارواح الكماة من الرعب

وقصد الناس نحو الامام ادريس بن ادريس من كل مكان ووفدوا
عليه من سائر البلدان وكان ممن وفد عليه نحو الخمسمائة فارس من
افريقية والاندلس من القيسية والازد والخزرج وبني يحصب
والصدف وغيرهم فسر ادريس رضي الله عنه بوفادتهم واجزل صلاتهم
وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم
فانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي ولما رأى ادريس
رضي الله عنه ان الامر قد استقل له وعظم ملكه وكثر حشمه وضاقت
بهم مدينة وليلي عزم على الانتقال منها واراد ان يبني مدينة
لنفسه يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه اهل دولته فركب
بعد الاستخارة مع خاصة من قومه وجال جملة من النواحي الى ان بلغ
جبل صالغ فعزم ان يبني به مدينة عظيمة فظهر له ان الموام يسكن
به زمن القيظ فاشتغل لقواد سنة وعزم ايضا ان يبني به مدينة فظهر
له ان الرعود تنحدر اليها من الطود وما زال البريتاد حيث يبني واستشار
وزيره عمير بن مصعب الازدي ليرتاد له موضعا للمدينة فسار عمير
في جماعة من قومه لينظر ما طلب فاخترق تلك النواحي الى ان نزل

على عين

على عين من ماء غزيرة مطردة في مروج نضرة فتوضأ من مائها هو ومن كان
معه وصلى بهم صلاة الظهر ثم دعا الله تعالى ان يسخر له عليه ما طلبه وان
يدله على موضع يرتضيه لعبادته فسميت العين بعين عمير الى الآن
ثم انه ركب وتوجه يختبر موضعا اشتبه ليطلب ما خرج اليه حتى وصل
الى العيون التي ينبعث منها نهر فاس فرأى عيونا كثيرة تزيد على ستين
عينا ورأى ماءها يطرد على وطاء فسيح من الارض وحول العيون شعراء
من الكرمة والطرفاء والصفصاف والقرعار والكرم وغير ذلك فرآه ذلك مع جودة مائه
وشيوخه بعد ان شرب من الماء واستطابه وقال هذا ماء عذب وطعم معتدل
وحلو كثير المنفعة لا جرما جاوره من الاشجار وبما رأى من المزارع ثم سار
مع مسيل الوادي حتى وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى ما بين العدوتين
فراى غيضة ملتفة الاشجار مطردة بالعيون والانهار وفي مواضع منها خيام
من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبني يرغش فرجع عمير الى
الامام ادريس رضي الله عنه واعلمه بما رأى من الارض وما استحسنه من
كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها واعتدالها
فاعجب الامام ادريس ما رآه من ذلك وسأل عن مالك الارض فقيل انهم
قوم من زواغة يعرفون ببني الخير فقال الامام ادريس هذا فأل حسن
وبعث اليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن
واشهد الاشهاد بينهم بذلك في رسم من انشاء كاتبه ابي الحسن عبد الله بن
مالك المالكي الانصاري الخزرجي وذلك في سنة احدى وتسعين ومائة
ثم ان الامام ادريس ضرب اخبيته وقبابه بالموضع المعروف بجراوة
من عدوة الاندلس ودور عليه حظيرة من الخشب فسمي الموضع بجراوة
الى زماننا هذا ثم انتقل بعد ذلك الى الموضع المعروف بالمغرمة من عدوة
القرويين حيث دار القيطون المتصلة بمسجد الشرفاء ثم شرع في البناء
كذا ذكره ابن الاوقيق وغيره فصل
حكاية قصد جعل الله تعالى في
هذه المدينة من البشر فيها ما تعلم اهلها خلفهم عن سلفهم انه وجد في كتاب دراسة
اسماعيل المكي بابي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى حدثني علي بن ابي مطر
الاسكندري قال حدثني محمد بن ابراهيم بن المواز عن عبد الرحمن بن القاسم
عن مالك بن انس عن محمد بن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون بالمغرب مدينة
تسمى بفاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة اهلها على السنة والجماعة

ومنهاج الحق لا تزال الدولة متمسكين به لا يضرهم من خالفهم بتوفيق الله منهم
ما تكررهوا الى يوم القيامة وابن مطر هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن
ابي مطر من ولد ابي موسى الاشعري وكان مجاب الدعوة توفي بالاسكندرية
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ذكره القاضي عياض في مداركه ودراس رحمه
الصدور رضي عنه هو اول من ادخل علم مالك رضي الله عنه بلاد المغرب فانه كان
الغالب عليه في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد والبهلول
ابن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك فاخذه
كثير من الناس ولم يزل يفشو الى ان جاء سحنون فعمر حلق المجالس وانتشر
المذهب بعده في اصحابه فشاع في اقطار المغرب الى وقتنا هذا واهل
الاندلس خاصة كان رايهم منذ افتتحت على راي الاوزاعي الى ان رحل الى مالك
زياد بن عبد الرحمن وقد عرض ابن العباس ومن بعدهم فجاؤوا بعلم مالك وابانوا
للناس فضله واقتدوا الائمة به فعرف حقه ودرس مذهبه الى ان اخذ امير
الاندلس اذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان
الناس جميعا بالتزام مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلك في
عشرة السبعين ومائة في حياة مالك رحمه الله وشيخ المفتيين حينئذ
صعصعة بن سلام امام الاوزاعية وراويته وقد لحق به من اصحاب مالك
حيرة فالتزم الناس هذا المذهب وحملوا بالسيف عن غيره جملة والاخير
فيما تقدم من الرحالين والغرباء شيئا من مذهب الشافعي وابي حنيفة
واحمد وداود ولم يتمكنوا من نشره فماتت بموتهم على اختلاف ازمانهم
الا من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه له فعول على ذلك معظم الاندلسيين الى
وقتنا هذا وسمي دراس لكثرة درسه العلم اصله من مدينة فاس سمع
من شيوخها ومن افريقية من ابي بكر بن اللباد وغيره وبالاندلس من
شيوخها وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن ابي مطر بالاسكندرية كتاب
ابن المواز وحدث به بالقيروان وسمع منه ابو محمد بن ابي زيد وابو
الحسن بن القابسي وغيرهما ودخل الاندلس مجاهدا ومطالبا فيه ودراس
بها في الثغر وسمع منه ابو الفرج عبدوس بن ... خلف بن جعفر وغير
واحد وكان ابو ميمونة من الحفاظ المعدودين والائمة المبرزين من اهل الفضل
والدين حسن الاجابة لمذهب مالك رضي الله عنه توفي بفاس بلده سنة خمس
وخمسين وثلاثمائة وقبره خارج باب الجيزيين منها معروف والدعاء
عنده مجاب وله بها مسجد يعرف به وقد جدده مولانا المتوكل ابو عنان
رحمه الله وجعل هنالك رخامة منقوشا باسمه وتاريخ موته ونصبت عنده

راسه

راسه سنة اربع وخمسين وسبعمائة واخبر ابن القطان ان رجلا من اهل المغرب
قال رايت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة بالرمادة تغرابية السماء والارض
شكيا اني غفلت ما هذا فقيل لي مات ابو ميمونة وكان كذلك واكثر ما كان
ينشد

غفلت وحادي الموت في اثري يحدو / وان لم ارح يوما فلا بد ان اغدو
ارى العمر قد ولى ولم ابلغ المنى / وليس معي زاد وفي سفري بعد
انعم جسمي باللباس ولينه / وليس لجسمي من قميص البلا بد
كاني به قد مد في برزخ البلا / ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت مني المحاسن وانمحت / ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
فكيف اذا ما بنار يا رب قربة / ونار لا يقوى لها الحجر الصلد
مسيئ غافر الزلات يغفر زلتي / فقد يغفر المولى اذا اذنب العبد

تنقل اكثر هذا الفصل من المدارك وغيره ومن اراد الوقوف على اكثر من ذلك فليطالع
كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد ولما عزم الامام
ادريس رضي الله عنه على بناء مدينة فاس بعد ان اختبر تربتها وهواها
ومياهها وشاهدها وتحقق بعدها من الصخر والحجارة والجبال الشامخة والشجر
العتيقة وعلم ان ذلك مما يعين به سكانها رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعلها
دار علم وفقه يتلى فيها كتابك وتقام بها حدودك واجعل اهلها
متمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
ثم اخذ المعول بيده وابتدأ بحفر الاساس واتبعه الفعلة في ذلك
فلم تزل دار علم وسنة وذكر ابن غالب في تاريخه ان الامام ادريس
رحمه الله حين عزم على بناء فاس واختطاطها مر به شيخ كبير من الرهبان
كان مترهبا في صومعة قريبة من تلك الجهات فوقف للامام ادريس رحمه الله
وسلم عليه فقال له ايها الامير ما تريد ان تصنع بين هذين الجبلين فقال
اريد ان اختط بينهما مدينة لسكناي وسكنى ولدي من بعدي يعبد الله
تعالى فيها ويتلى فيها كتابه وتقام حدوده فقال له ايها الامير ان لك عندي
في ذلك بشرى قال وما هي ايها الراهب قال انه اخبرني راهب كان قبلي في هذا
الدير هلك منذ مائة سنة انه وجد في كتب علمه انه كان بهذا الموضع مدينة
تسمى ساف خربت منذ الف سنة وانه يجددها ويحيي اثرها ويقيم
دارها رجل من آل بيت النبوة يسمى ادريس ويكون لها شان عظيم
وقدر جسيم لا تزال دين الاسلام قائما فيها الى يوم القيمة فقال ادريس

الحمد لله انا ادريس وانا من آل البيت النبوي وانا بانيها ان
شا الله تعالى فكان ذلك مما قوى عزمه على بنائها ويدل على صحة
ذلك ان رجلا من اليهود احتفر اساسا لدار بينها بعقبة عويقة
من المدينة المذكورة والموضع يومئذ صحرا بالطرفاء والبلوط وغير ذلك
فوجد في الاساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها
بالخط المسند هذا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فاقيم موضعه بيعة
للعبادة كما قال عمر بن ابي ربيعة

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة بدت لك خلف السجف ام انت حالم

واختلف لم سميت فاسا فقيل ان الامام ادريس لما شرع في بنائها كان يعمل
فيها بيده مع الصناع والفعلة فصنع له بعض خدمه فاسا من ذهب
كان يمسك بيده ويبدأ به الحفر ويخط به الاساسات للفعلة
فكثر ذكر الفاس على السنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة
يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس احفروا بالفاس فسميت
مدينة فاس لاجل ذلك قال صاحب الاستبصار وهذا والله اعلم لا
يصح لان ادريس رضي الله عنه لا يجهل ان استعمال الذهب محرم على الرجال
ويقال انه لما شرع في حفر اساسها من جهة القبلة وجدوا في الحفير
فاسا كبيرا طولها اربعة اشبار وسعته شبر ووزنه ستون رطلا
من عمل الاوائل فسميت المدينة به واضيفت اليه تحل معناه المظفرة
وقيل انه لما تمت البنا قيل للامام ادريس كيف تسميها قال اسميها
باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها التي اخبرني الراهب انها كانت
هنا مدينة ازلية من بنيان الاوائل خربت قبل الاسلام بالف عام
وكان اسمها مدينة ساف ولكني اقلب اسمها الاول واسميها به
فاس فسميت به كذا نقله ابو الحسن بن عبد الله بن ابي الزرع
في كتابه المسمى بالانيس وكان تاسيس مدينة فاس على ما ذكره
المؤرخون الذين صنفوا تاريخها وبحثوا عن امورها واحوالها على نحو
ما نذكر اما عدوة الاندلسيين فانها اسست في يوم
الخميس مهل شهر ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائة اقام الامام
ادريس منها بالموضع المعروف بجرواوة حيث نزل باخبيته وقبابه وابتدأ
سورها

سورها من جهة القبلة وفتح هناك بابا سماه باب القبلة ثم مر بين الموضع
المعروف بالغوارة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك بابا سماه بباب
الصخية كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ثم مر بالسور الى الشيبوبة
وفتح هناك بابا سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب الفصيل المعروف
الآن بباب النقبة في عدوة القرويين ثم مر بالسور الى راس جرف
الفرج وفتح هناك بابا سماه بباب ابي سفيان ثم مر بالسور على جرواوة
وفتح هناك بابا سماه بباب الكنيسة ويعرف الآن بباب الخوخة وخارجه
كان يسكن المرضى ليكونوا تحت الريح الغربية فانها المقابلة لها
فيكون تصرفهم من الآن بعد خروجه من البلد ولا يصل منه ضرر للمدينة
شيء ثم انتقلوا من الموضع المذكور للموضع باب الشريعة في زمن الجماعة
وكانوا يتصرفون بالآن الذي باعلى المدينة فرفع لمولانا امير المسلمين ابي المسلمين
يوسف بن عبد الحق رحمه الله ان ذلك يضر بالناس فامر بانتقالهم للكهف
بظاهر برج الكوكب وهو الموضع الذي فيه سكناهم الآن ثم مر بالسور
الى ان وصل باب القبلة المذكورة وقد استدار بها السور ثم بنى جامعا
للخطبة بقرب رحبة البيع ويعرف بجامع الاشياخ وا
ما عدوة القرويين فانها اسست في مهل شهر ربيع الاول سنة
تسعين اقام الامام ادريس منها بالموضع المعروف بالمقرمدة
ويعرف الآن بدار القيطون ويقربه مسجد الشرفا حيث سكنى حفدة
ادريس رضي الله عنهم وابتدأ سورها من راس عين علوان وفتح هناك
بابا سماه باب افريقية وبه يعرف الآن وجدده مولانا المستعين
ودعه وذلك في شوال سنة ستين وسبعمائة وكان حول العين التي
هناك غيضة عظيمة يقطع بها عبد اسود اسمه علوان فرفع ذلك
للامام ادريس فصلب باعلى شجرة هناك الى ان تقطعت اشلاؤه
فسميت العين باسمه ثم مر بالسور الى عين دردور الصغير وفتح
هناك بابا سماه بباب العقبة ثم مر بالسور الى اغلال وفتح هناك بابا
سماه باب الفصيل وهو الذي ذكرنا انه يعرف بباب النقبة ثم مر بالسور
مع ضفة الوادي وفتح هناك بابا سماه بباب الحديد وليست هي المعروفة

بذلك الآن ثم مر بالسور لاعلى عقبة الجرف وفتح هناك بابا سماه بباب
الشلقة ثم مر بالسور حتى وصل الى باب افريقية المذكور وقد استدار بجميع
السور ثم بنى جامع الخطبة متصلا بجوفه وهو المعروف الآن بمسجد الشرفاء
وكان الامام ادريس رضي الله عنه في انشا ذلك امر الناس ببناء الدور والغرس
ونادى فيهم ان كل من بنى موضعا واغترسه قبل تمام السور فهو له هبة
لله تعالى فيظهر من هذا والله اعلم انه من بنا شيئا بعد تمام السور انما يكون
باستئجار الارض وهو سبب الجزا في بعض جهاتها ولما فرغ الامام
ادريس رضي الله عنه من بناء اسوار المدينة وجامع خطبتها انزل القبائل
الوافدين عليه من جزيرة الاندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت بذلك عدوة
الاندلسيين وانزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها
فسميت بذلك عدوة القرويين ثم امرهم بزيادة البناء والغرس فبنا الناس
الدور والمساجد والحوانيت وغرسوا جانبي الوادي من منبعه بجميع اساليب
الى قطبه من شته شيئا بانواع الاشجار وضروب الثمار وحرثت سائر
نواحيها بانواع الزراعات فعرفت الارض بالغراسة والحراثة وظهر صلاح ذلك
والانتفاع به على اقرب وقت فكثرت الخيرات وزادت العمارات وقصدها
الناس من جميع البلاد والجهات والاصقاع وسكنها الفقهاء والعلماء والتجار
والصناع ولما سكنت مدينته واستقامت رعيته وحضرته الجمعة
صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه في آخر خطبته وقال اللهم انك تعلم
انى ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة
وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك
وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها
وقطانها للخير واعنهم عليه واكفهم مؤنة اعدائهم وادرر عليهم الارزاق
واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير فامن الناس على
دعائه فكثرت بالمدينة الخيرات وظهرت البركات واقام الامام ادريس رضي
الله عنه بمدينة فاس الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج الى غزو من بقي من
الكفار بنفيس وبلاد المصامدة ورجع الى مدينة فاس اقام بها الى شهر
المحرم سنة تسع وتسعين ومائة فخرج منها الى مدينة تلمسان لتفقد [illegible]
واحوالها في اعزاز الدين وظهوره فغلب عليها واستفتحها ونظر في احوالها
واصلح سورها وجامعها الذي بها وامر بصنع فيها منبرا وكتب
اسمه فيه كذا نقل ابن غالب وصاحب الانيس وقال الوراق
في تقييده ودخلت جامع تلمسان في سنة خمس وخمسين وخمسمائة
فرايت

فرايت في راس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر هناك وعليه مكتوب
هذا ما امر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة
فخرج منها الى مدينة تلمسان ثم رجع الامام ادريس رضي الله عنه الى مدينة
فاس فلم يزل بها الى ان توفي رحمه الله تعالى في اول شهر ربيع الاول
سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثمانية اشهر
ولا استقر امره كانت ايام كفالة راشد له وبقية ... عشر سنين او عشرة
اشهر وايام امارته سبعا وعشرين سنة ويذكر انه دفن بجامع الشرفاء
بازا الحائط الشرقي منها وقد انشد بعض شعراء الشرفاء قصيدة طويلة في ذلك م

مدينة ادريس بن ادريس التقي ... بها قبره ثاو ومنبره مبني
منازل آل الله وآل رسوله ... فاحبب بهم اهلا واحبب بها مغني

وكان سبب وفاته على ما قال البكري انه اكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من
حينه رحمه الله تعالى وخلف من الولد على ما ذكره ابن حزم في جمهرته ثلاثة
عشر ذكرا ادريس واحمد وعبد الله ويحيى والحسن والحسين ومحمد وعبيد
الله وداود وعيسى وعمر وجعفر والقاسم وحمزة (?) وقيل اكثر من
ذلك فولي بعده محمد وهو اكبرهم وحاز الاكثر حضرة الامام ادريس بن ادريس
قاطنين بمدينة فاس منذ استقر الى زماننا هذا محمولين على البر والاكرام
والمحاشاة والاحترام والرعي المستدام على مر الليالي والايام يشهد لهم الناس
بشهادتهم من الصدقات ويتوسلون بهم في الشفاعات ويستسقون
باطفالهم في الاستسقاءات

اولو طهارة احساب اذا انتسبوا ... ابدا المرور ابتهاجا كلما فخروا (?)
توارثوا المجد عن ابائهم خلفا ... فوق الغبطي (?) [illegible]
اذا تحضر ... الجمع عن عبق ... فاعلم بانهم في حينه ذكروا

وقد بلغ مولانا ابو الحسن رحمه الله في الاحسان بجميع الشرفاء القرباء منهم
والبعداء وبعث قاضي حضرته الاشهر وعالمه الاكبر ابا سالم ابراهيم
ابن ابي زيد عبد الرحمن بن ابي محمد رحمه الله تعالى لسائر بلاده مميزا
لاعيانهم ومختبرا لانسابهم حتى ثلج صدره بجميع نسبهم وحضر له حسبهم
واقتدى مولانا المستعين رحمه الله بابيه المرحوم في برهم والانس
بقربهم فحمى حرماتهم وقرب مكانتهم وقضى حاجاتهم واعلى منازلهم
وراعى وسائلهم واجرى لهم الارزاق السنية ويعدهم بالصلات الجزيلة

واختارهم اقربهم نسبا واطهرهم اباءا وانضرهم عودا واطولهم عمودا
واجودهم جودا واذا رسلهم حدودا واوقدهم زندا [illegible] ريشا عليهم ومختبرا اليهم
لدى امرهم مولانا الكبير قدرا وهو سيدنا الشريف الطرفين الزكي الاصلين
السامي الفخار الحميد الكثير السؤدد العريق النسب الشريف الحسب زكي
النفس المرضية والشيم الزكية والاخبار المرضية مزيد المحامد وجامع الفضائل
صدر المجلس حيث استوى احتفاله والمعظم في بساط الملك حيثما توخوا اراده
وتسمع اقواله اخوه اية الشرف بعيد [illegible] وحاز قصب السبق في حلبة
فخارها من يعرف الذي طابت اصوله وطابت فروعه ولم يزل الى العلى
الصالح نزوله ابو عبد الله محمد

فما مثله يجلى هو الشمس رفعة … وضوءا واشراقا وهل تجهل الشمس
اناريه اما وعلى جلاله … وفاضت بحور الحمد [illegible]

ابن سيدنا ووسيلتنا الى الله تعالى الشريف الطاهر الاركان المتمم سبيها
الايمان صوارم الهواجر ومتسربل ظلام الليل لقيامه وهو للكرم
صاحب في المحامد الماثر والمناقب والمفاخر ابو عبد الله محمد

سمت بروق وصفت لم يدع امرا … للعير مستسبيا الا تجاوزه
اذا رايته ارتك العين صورتها … فما تطيق جلالا ان تجاوزه

ابن عمران بن عبد الواحد بن احمد بن علي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
حمود بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى [illegible] بن القاسم بن
ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لينظر في امورهم وكافة شؤونهم ويكون عليهم اخا وامره فيهم
ماضي ولتتعصب بنظره انسابهم وتشرف بحيز قيمة احسابهم وليلا
يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج خارج عنهم وينزههم عن المكاسب الدنية
ويمنعهم من المطامع التي ليست بمرضية وان يكفهم عن ارتكاب المآثم
ويمنعهم عن اقتراب المحارم ليكونوا على الدين الذي نصروه اعز وللمنكر
الذي ازالوه انكر فلا ينطق بذمهم لسانا ولا يشناهم انسان
نفعنا الله بجميعهم وحشرنا في زمرتهم ولله در القايل

حب آل النبي خالط عظمي … وجرى في مفاصلي فاعذروني
انا والله مغرم بهواهم … علليني بذكرهم عللوني

ولولا خشية استيفاء مناقبهم الجليلة وماثرهم التي افردتهم بكل فضيلة لملأت
من ذلك الاوراق ولم ادر الا ما يقع الاجماع عليه والاتفاق فلنرجع
الى ما كنا

الى ما كنا بصدده من هذا الكتاب والله الموفق للصواب فمن احسن ما قيل في
ذكر محاسن فاس

يا فاس منك جميع الحسن مسترق … وساكنوك ليهنيهم بما رزقوا
هذا نسيمك ام روح لراحتنا … وماؤك السلسل الصافي ام الورق
ارض تخللها الانهار داخلها … حتى المجالس والاسواق والطرق

وقال آخر

فليقد اعارته الحمامة طوقها … وكساه حلة ريشه الطاووس
وكان الانهار منه مدامة … وكان ساحات الديار كؤوس

وقال آخر

يا عدوة القرويين التي كرمت … لا زال جانبك المعمور محبورا
ولا سقى الله عينا شرب نعمته … ارضا تخيفت الاثام والزورا

وقال آخر يمدح فاسا ومليكها

تسود على بلاد الله فاس … وحق لها بما خصت تسود
كفاها ان ذاك بها مليك … عظيم القدر ليس له نظير
[illegible] ان تفضل … وتاتيها الركايب والوفود
[illegible] الارض تجبى … وعنها لا تحيل ولا تحيد
[illegible] الله طرا … وكلهم لمالكها عبيد

وللفقيه القاضي الكاتب البارع ابي عبد الله محمد بن ابي عبد الله المغيلي يصف
فاسا ويتشوق الى [illegible] والى القصفا بمدينة ازمور

يا فاس حياك الله ارضك من ثرى … وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي اربت على … حمص بمنظرها البهي الاجمل
[illegible] غرف وتحتها … ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتين [illegible] … تجد اوان الايام او كالفيصل
وبجامع القرويين شرف ذكره … انس تذكره [illegible] تعلل
وبصحنه زين الصحيف [illegible] … فتح العشي الغرب [illegible]
والجلس [illegible] الخصة الحسنى به … [illegible]

وقالت الحكما لا تستوطن الا بلدا فيه سلطان حاضر وطبيب ماهر ونهر جار
وقاض عادل وعالم عامل وسوق قائمة وقالت الحكما ايضا احسن
موضع تبنى فيه المدن يجمع خمسة اشياء وهي النهر الجاري والمحرث
الطيب والحطب القريب والسور الحصين والسلطان القاهر به صلاح

لعله أن حالها وتأمن سبلها وكف جبابرتها وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال التي هي
في المدن وشرفها وزادت عليها بمحاسن كثيرة وسنذكر منها نبذا فمنها نهرها
المعروف بنهر الجوهر الذي بأعلاها بنحو ستة أميال وهو يخرج من نحو ستين عنصرا
وأصلها ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة المغرب مسامتا لمشرق الشمس وله
سطر عجيب لفصاحته وانحداره من الاعتدال فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه
فيصير نهرا كبيرا لا يشينه شيء لا كدر فيه لا يستوي ارضه وحوله نبات الكرفس
والسعتر من روح منحدرة لا تزال كذلك من فصول السنة إلى أن ينحدر إلى البلد
فينقسم في أعلاها على جداول كثيرة فيشق أكثر جهاتها ويتشعب في داخلها فتنقطع
بمساجدها وسقاياتها ودورها وحماماتها وسوقها ثم يخرج منها
وقد ذكر أنها ليس لها في سائر فضلائها وكان مولانا أمير المسلمين أبو سعيد رحمه الله
يعجبه موضع عناصر هذا الوادي وأمر ببناء دار تكون للنزهة هناك وشرع
في بنائها ثم منع من تمامها موانع وليس لنهرها السم نظير لفصاحته وعذوبته
مائه وخفته وبرودته صيفه في زمن الصيف وسخانته في زمن الشتاء وهو
سخن شربها ويبرد شربها فيتم شربها وهذه الصفة محمودة عند الأطباء
ويخرج منه الصدف الثمين الذي يقوم مقام الجوهر ولذلك سمي وادي الجوهر
ومن منافعه أنه يفتت الحصاة التي تكون في المثانة ويزيل الصبيان من الرأس
والقمل من الجسد لمن اغتسل به وداوم على شربه ويلين البشرة ويغسل به
الثياب دون صابون فيبيضها ويكسوها رونقا ورائحة طيبة ويوجد فيه
السرطان المستعمل في الأدوية وليست توجد في غيره إلا نادرا ويخرج منه
أنواع الحوت اللبيس والبوري والسباح والبوقة وذلك كله حوت لذيذ
الطعم ومنها أن بداخلها العيون والآبار والأنهار فمياه العيون والآبار
عذبة صافية باردة في الصيف حين يراد ذلك منها ومياه الأنهر بعكسها
سخنة في الصيف باردة في الشتاء فلا يزال الماء السخن والبارد معا موجودين
في كل زمان وذلك مما يعين على التطهير والتنظيف ومنها قرب المعادن
لها كالملاحة التي بحشر الشاطئ إلى وادي مكس وبينها في المسافة ثمانية
عشر ميلا ومن النادر في هذه الملاحة أنها تحرث كلها بالزرع فتحصد الغلة ويخرج
في وسطها الملح منتصبة ناحية تحت بجاماتها فصلا من أصول الكرمة ومعدن الجبس
والصلصال وأنواع الحجارة والرمال وذلك على اختلاف أنواعه متيسر بين يدي
الناس من منافعهم ومنها خشب الأرز المجلوب لها من جبال بني بازغة
وهي بنحو الثلاثين ميلا عنها يحمل منها كل يوم أحمال كثيرة فلا يعدم فيها
وقد يعمر العود منه في الموضع الذي لا يناله ماء ألف سنة ولا يتغير
ولا يتعفن ولا يتسوس ومنها الحطب الكثير الذي يدخل إليها
من سائر جهاتها كجبل بني بهلول فإنه يصبح كل يوم على أبوابها من أحمال
البلوط وفحمه ما لا يوصف كثرة ومنها الحرث العظيم الذي بأقطارها

سقيا

سقيا وبعلا وكثرة المجاشر ما ليس على مدينة من مداين المغرب ومنها
بعدها من أطراف الأرض التي يخاف فيها الفتن والغارات ومنها
اختصاصها بجميع الفواكه وأصنافها وأنواع الخضر والبقالي على اختلافها وسائر
نوار الأرض وأزهارها حتى لا يشتري شيء من ذلك من طلبه منها ومنها
قرب العيون المتخذة لها كعين خولان وحمة وشفا ونه وحمة أبي يعقوب
فإن فيهن من منافع الاستحمام والتداوي وقد اعتنى مولانا أمير المسلمين أبو
الحسن نور الله ضريحه ببناء حمة خولان على وجه محكم لتتم مصالح الناس فيها
ومنافعهم ومنها أن حرها وبردها ليس بالشديد جدا وقد يعتدل فيها
الفصلان الخريف والربيع في أوقاتها فيكون دخول الخريف إلى الشتاء متباين
الانحدار وكذلك كل فصل ينتقل من هذا الانحدار ومن زمان إلى زمان بالتدريج
على ذلك قرب اعتدال الهواء في أرضها وطيب الثمر وعذوبة الماء وزكاء الأشجار
وطيب الثمار وأخصب الزروع وكثرة الخيرات وحسن أخلاق أهلها
وتظرف وجوههم وأبدانهم وانطلاق أذهانهم وقل ما يخالف بعضهم
بعضا في الخلقة والصغر والكبر والتنظيف حتى فضلوا الناس في العلوم
والصناعات والمعرفة بأنواع التجارات ومنها أن أهلها في العادة
أقل خلافا على أمرائهم وأكثر طاعة لحكامهم وولاتهم ومنها قربها من
وادي سبو الذي تسير منه القوارب والسفن الصغار إلى البحر الأعظم
ويطلع منه إليه ما يطلع إلى واديها وقد كانت دار صناعة لإنشاء القوارب
والسفن الصغار وغيرها بالموضع المعروف بالجبلة من أرض ابن مشبودة
التي بالغرب من ملتقى وادي فاس في أيام الخليفة عبد المؤمن الموحد حين
أراد الوجهة لفتح المهدية سنة اثنين وخمسين وخمسمائة قيل إنها كانت
عشرة آلاف بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي العباس أحمد
ابن الملجوم الفشتالي وكذلك أمر مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله
بإنشاء جفنتين اثنتين أحدهما شطط ثمانية وعشرين ذراعا والثاني
سبعة عشر ذراعا بجنان خولان ودفعهما بوادي سبو إلى أن وصل
المعمورة سالما في شوال سنة ست وخمسين وسبعمائة وقد جلب لمولانا أمير
المسلمين أبي الحسن برد الله ضريحه بيلة من الرخام الأبيض زنتها مائة
قنطار وثلاثة وأربعون قنطارا وسيقت من المرية إلى بلد العرائش إلى أن
طلعت بوادي فحص عبد الكريم وحملت منه على عجل الخشب تجرها العساكر
والروساء إلى أن وصلت فاسا أولا وحملت بالمدرسة التي على ضفة وادي سبو

وسيقت فيه ايضا الى ان وصلوا الى حلق واد فاس وحملت منه على عجل
الخشب يجرها الناس الى ان وصلت الى مدرسة الصهريج الذي بعدوة
الاندلسيين ثم نقلت منها بعد ذلك باعوام الى مدرسة الرخام التي امر بانشائها
ببنائها مولانا امير المسلمين ابو الحسن رحمه الله بعدوة جامع القرويين وهي
التي بوسط صحنها الآن وكان جلبها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة
فان قيل كيف يتوصل الى وزنها فاعلم ان الذين جلبوها لما ارادوا ان يعرفوا عن
الجفن بالقصر المذكور علموا على حد الماء ثم فرغت وشحن في موضعها احجار
من الرمل بالوزن شيئا فشيئا الى ان بلغ الماء حد ما علم في تفريغها ثم فرغ الرمل
ووزن فعلم بذلك وزنها كذا ذكر بعض الشيوخ الذين حضروا لذلك وكتبوا
بذلك رسما وعلم وطولع به مولانا ابو الحسن رحمه الله وكذلك فعل بالبواب
المطاهير التي صنعت من حديد في ايام عبد الله التي رتبت كل واحد منها في ثقل
على ما ذكره البكري وكان مولانا ابو العباس رحمه الله يأمر برفع الاحجار الكبيرة
على خشب الارض خفرا خوفا ان العدوة بسلا على صفة يجلبها البعير
ونحو شبه تنبعث من عنصر وهي مغارة وحشية مهولة في شعرا وغامضة
بيلا وعبر الوادي يمر على بئر واريش وهذه العين لا يدرك لها قعر
ويعبر من المجاورين لها تجارب منها ان المريض اذا ارادوا ان يعلموا
هل يبرا او يموت حملوه الى رأس العين للموضع المهول فيغطسونه فيه
حتى يقرب ان يطفى ثم يخرجونه فان خرج على فيه دم فيستبشرون بحياته
وان لم يخرج من فيه دم علموا بهلاكه وهذا عندهم متعارف لا ينكر قائله
صاحب الاستبصار لا يفعله الا جاهل وان فعله احد بأحد يقتص
منه شرعا وما سوى ذلك من فصول هذا الباب قد يدرك بالمشاهدة
والتجربة ويتصيدون وادي سبو الشابل يطلع من بحر سلا الى راس
عين سبو ويتصيدون فيه الحوت الكبير المعروف بالقرب يكون في زنته
القنطار الواحد وازيد ويصيدون فيه الحوت المعروف بالشعلي تجتمع
منه الالوان باصناف البقل جلا شم فيه رائحة سمك ومنها ميل الناس لسكناها
فقد سكنها جملة من اصناف الناس واهل الكور والامصار واشتغل اليها
من جميع البلاد القاصية والدانية فليس من اهل بلد ولا اقليم الا ولهم بها منزل
ومتجر وصناعة ومتصرف واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا وانتهت
التجارات واهل الصناعات من كل صقع حتى تكاملت بها كل متجر وسيقت اليها

خيرات

خيرات الارض وجمعت فيها ذخاير الدنيا وتكاملت فيها بركات العالم وذلك
ببركة الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه وببركة دعائه لاهلها وبالله التوفيق
لا رب غيره

الباب الثاني

في ذكر من دار بها بالاسوار وزاد فيها الزيادات وذكر جامعها العتيق وما انتهت اليه من الدور والارحى والحمامات

لم تزل مدينة فاس كلاها الله تعالى من حين اسست دار علم وفقه وصلاح
وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها وهي كانت دار الادارسة
الحسنيين الذين اختطوها وكانت مملكة زناتة وغيرهم ممن ملك المغرب في الاسلام
وتركها لمتونة لما ظهروا على المغرب ثم بنوا مدينة مراكش فاختطوا اليها
لقربها من بلاد الصحراء ثم اتى الموحدون بعدهم فتركوا مراكش واتخذوها
دار ملكهم لقربها من بلادهم وتمكنهم في جوارهم وبين قبائلهم كذا قال صاحب
المقباس وغيره وما زال الامراء والملوك في اثناء ذلك يزيدون في اتساع فاس
الى ان وصل الامراء الناس يشتغلون بارض المرينيين واتصلت العمارات
من الجهات الى استقلال ايام زناتة فادار منهم دوناس بن حمامة بن المعز
ابن عطية بن زيري الاسوار على جميع ارباضها من كل الجهات وبنى بها المساجد
والفنادق والحمامات وغير ذلك وعمرت مدينة واعمرت اليه اذ ولي بعده ابناه
الفتوح وعجيسة فحصن الفتوح عدوة الاندلسيين وبنى بها قصبة بها
لسكناه بالموضع المعروف بالكدان وحصن بالعدوة باسمه باسمه وكانت
بين الاخوين عداوة وصار القتال بينهما وبين اهل العدو وتبين وكان
قتالهم بالموضع المعروف بكهف الرقادين وكثر الهرج بسبب ذلك في ارض
المغرب واشتد الغلاء الى ان ظهر امر لمتونة في اطراف المغرب وظفر
الفتوح باخيه عجيسة فقتله ولما ظفر به كره ان يبقى الباب باسمه وامر
بتغييره فلك وترك اضافتها اليه فاسقط الناس حرف العين من عجيسة
واشغلوا عوضا منها الالف فقالوا باب الجيسة وبقي كذلك الى الآن وبعد
ان ظفر باخيه اتاه لمتونة فنزلوا عليه وحاصروه وتخلى عن المدينة فولى بها
معنصر ابن عمه الى ان دخل لمتونة وقتل من بها من زناتة   دخول ايام المتونة

هوت الاسوار التي بنيت ايام الادارسة الفاصلة بين العدوتين وازيل رسمها
واصلح السور الذي باعلى الوادي الكبير شرق جرف المعز جل والسور الذي
باسفله حيث هي الرميلة الذي كان بناه دوناس حين ادار الاسوار على سائر
ارباضها وجعل في تلك الاقواس بشبابيك من خشب الارز بالعمل المحكم لدخول
الماء وخروجه وكان جعل بين العدوتين قناطير كي يمشى لاهل عدوة الى الاخرى
والاولى قنطرة ابي طوبة التي جدد بناءها مولانا امير المسلمين ابو سعيد رحمه الله
والثانية قنطرة ابي بن عرقة والثالثة قنطرة باب السلسلة والرابعة قنطرة
الصباغين والخامسة قنطرة كهف الرقادين السادسة قنطرة الرميلة وحين
جاء السيل العظيم سنة خمس وعشرين وسبعماية حمل قنطرة باب السلسلة وما
والاها فامر مولانا امير المسلمين ابو سعيد رحمه الله ببناء قنطرة باب
السلسلة وقنطرة الصباغين فبقيتا على حالتها الآن وبنيت قنطرة كهف
الرقادين على يدي من تطوع بذلك من المسلمين وبقيت قنطرة الرميلة مهدومة
الى الآن وكان كبير لمتونة واميرها يوسف بن تاشفين بعد لذلك زيادة المساجد
بفاس وسقاياتها وحماماتها وخاناتها واصلاح اسوارها واتقدم من قرطبة
جملة من صناع الارض فبنوا منها كثيرا الى ان انتهوا الى حايط كبير ان شاء الله
تعالى وفي ايامه حاربت العدوتان فتطرا واحدا انفذا وفي ايام ولده على
بني سور القراجة التي بين باب الجيسة وباب بني مسافر على يد قاضيه
عبد الحق بن معيشة بجمال وضحى على اهل مدينة فاس ضحيا ذكره حاجر
المقابيس وفي سنة اثنين واربعين وخمسماية امر الامير عبد المومن بن علي
الكومي بهدم اسوار فاس فقال انا لا نحتاج الاسوار انما اسوارنا سيوفنا وعدلنا
وبقيت الاسوار كذلك الى ان بدا ابتناء ما هدم منها يعقوب المنصور وكمله
ولده ابو عبد الله محمد الناصر وبنى قصبة الوادي التي بها الآن وكذلك بنا
الشريعة على حالها الآن كما بنا مولانا امير المسلمين ابي على في سبيل رب
العالمين سور رتيون ابن عطية واقام البرج العظيم القوى هناك وكتب
عليه اسمه ولفاس الآن من الابواب باب الفتوح وباب الخوخة وباب
بني مسافر وباب الجيسة وباب بني مسافر وباب الشريعة وهي باب
يدخلها الفارس بالعلم العالي والرمح الطويل من غير ان يميل العلم والرمح
الرمح لارتفاعها وسميت باب المحروق من اجل العبيدي القائم بجبال زراعة
لما ظفر به وقتل رفع راسه على باب الشريعة المذكور واحرق جسده بوسطها
وذلك يوم وكتب مصاريعها بامر الامير محمد الناصر بن المنصور سنة ستماية

الكرم

وباب المطهر

وباب المطهر المتصل ابوابها بالقصبة وباب الوادي الذي هو لدخول
الخلفاء وخروجهم المتصل ايضا بالقصبة وباب الكدين وباب رتيون ابن عطية
وباب الجيزيين والمعتمد منها الآن خمسة وسائرها تغلق من ايام المجاعة وانتهت
مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية
والدعة والامن والعافية حالا لم تبلغه مدينة من مدن المغرب لا سيما في ايام المنصور
الموحدي وولده محمد الناصر كانت المساجد بها سبعماية وخمسة وثمانين ودور
الوضوء اثنين واربعين والسقايات ثمانين والحمامات ثلاثة وتسعين والارحي
الف واربعماية واثنين وسبعين ودور السكنى تسعة وثمانين الفا ومائتين وستة وثلاثين
والمطري سبعة عشر الفا واحدى واربعين والفنادق اربع ماية وسبعة وستين
والحوانيت تسعة الاف واثنين وثمانين وقيساريتان اثنتان واحدة
في كل عدوة منها وداران للسكة في كل عدوة منها والاطرزة ثلاثة الاف
واربعة وتسعين ودور عمل الصابون سبعة واربعين ودور الدباغ
ستا وثمانين ودور الصباغ ماية وستة عشر دارا ودور سبك الحديد والنحاس
اثنا عشرة دارا ودور عمل الزجاج احدى عشرة دارا وكوش الجير
ماية وخمسا وثلاثين وافران الخبز العجين وماية وسبعين واحجار
عمل الكاغد اربعماية كل ذلك بداخل المدينة ودور الفخارة ماية وثمانية
وثمانين خارج المدينة تحت ذلك عن المشرف على بن عمر الاوسي قال نقلته
من خط الغريفر مشرف المدينة في ايام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين
وخمس ماية وكان اذ ذاك بضفتي الوادي الكبير من حيث يستوعد دخوله
اليها الى ان يخرج منها دور الصباعين وحوانيتهم ودور الدباغ والعطارين والغسالين
وحوانيت الخاقين والسفاجين والمواضع المعدة لطبخ الغزل
والغوليين وغيرهم ممن يحتاج الى الماء وفي اعلا ذلك الطرزة للغالة ولم يكن
بالمدينة واد يطهر حاشى الوادي الكبير وباقي انهارها بقي محلها حوانيت
ودورا وبني على ذلك مصار ولم يكن بداخلها رياض والبستان حاشى
رتيون ابن عطية وخرب ذلك في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام
العادل واخيه المامون وذلك عشرون سنة الى ظهور الدولة المرينية
اظل الله ايامها ونصر اعلامها فتخربت البلاد وافتقر الطرق والعباد
كما انقرض الانيس وانه بناء جامع القرويين والاندلسيين
وذكر الزيادات فيهما الى هذا الوقت والحين فذكر ابو القاسم بن جنون
وغيره في تاريخ فاس انه لما كثر الواردون عليها في ايام الامير يحيى

والقطانين

وذلك في الحاشية

ابن محمد بن ادريس بن ادريس رضي الله عنه كان ممن قدم عليها من القيروان
محمد بن عبد الله الفهري القروي فنزل بعدوة القرويين مع اهل بلده
الذين نزلوا معه فمات وترك بنتين وهما فاطمة المدعوة بام البنين
ومريم وحصل لهما بالميراث مال كثير طيب فرغبتا ان تصرفاه في وجوه
من البر فاعلمتا ان الناس قد احتاجوا الى بنا جامع كبير في كل عدوة
من فاس لضيق الجامعين القديمين المذكورين فشرعت فاطمة
في بنا جامع القرويين ومريم في بنا جامع الاندلسيين اما جامع
القرويين فكان الشروع في حفر اساسه والاخذ في امور بنائه يوم
السبت مهل شهر رمضان المعظم سنة خمس واربعين ومائتين
وكان موضعه الذي بني فيه ارض البلد المحضر وفيه اشجار لرجل من هوارة
كان قد حاز ذلك ابوه بوجه صحيح حين اسست المدينة فاشترتها منه
فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القروي ودفعت الثمن من مالها
الحلال الذي صار لها من ميراثها من ابيها تطوعت ببنا الجامع المذكور فحفر في
ارضه واخذ منها التراب والكذان لبنائه وحفر بها بير اخذ منها الما
لبنائه ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفا الذي اسسه
الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه بعد مشورة اهل العلم
واجتهادهم في ذلك وهي من اربع بلاطات من قبلة الى جوف في كل بلاط
اثنا عشر قوسا من شرق الى غرب وجعل محرابه بالموضع والبلاط الذي امام
الثريا الكبرى الآن وجعل بمؤخره صحن صغير وبمؤخره صومعة حيث
هي العنزة الآن وتم على نحو ما ارادته وذلك بمطالعة الاخيرتين ثم
صلت فيه شكرا لله تعالى الذي وفقها لذلك ولم يزل على نحو ما بني في ايام
الادارسة الى ان كثرت العمارات واتصل البنا في ارض المدينة من سائر
الجهات وجرى امر زناتة بارض المغرب في سنة سبع وثلاثمائة فازيلت
الخطبة من جامع الشرفا لصغره واقيمت بجامع القرويين لاتساعه
وكبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر وكان اول خطيب خطب به
الشيخ الفقيه الصالح ابو محمد عبد الله بن علي الفارسي وقيد سنة احدى
وعشرين

وعشرين وثلاثمائة وان الذي اقام الخطبة به اذ ذاك هو الامير
حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على بعض بلاد المغرب
بعد ان كان تغلب عليها مصالة بن حبوس المكناسي القائم بدعوة الشيعي
ولم تزل كذلك الى حين تغلب ظهور زناتة بالمغرب واستدعا الناصر
لدين الله لكبرائهم ورؤسائهم واكرام سادتهم وقضا حاجاتهم
وحمل اهل الطاعة على اهل المعصية منهم حتى عجز بحاله معقود بالمن ضعف
حاله الى ان هرب اليه اخيه وكثير منهم بين مصحح في ولايته ومستجيب
لدعوته مغتنم لعطيته مستعين بقوته على مدافعة قد عهد لكنه من الادارسة
والشيعة فقام زناتة بدعوة الناصر لدين الله وتغلبوا على بعض بلاد
المغرب وبايعه اهل مدينة فاس فيمن بايعه حسبما ذكره صاحب المقتبس
فولى عليها عاملا له من زناتة يعرف باحمد بن ابي بكر الزناتي
وكان من اهل الفضل والدين فكتب الى الناصر يستاذنه في بنا الجامع
واصلاحه والزيادة فيه لحاجة الناس لذلك فاذن له وبعث اليه بمال كثير
اخماس غنائم الروم وامره ان يصرفه في عمله فزاد فيه اربع بلاطات
من المغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف في موضع الصحن
الذي كان فيه وجعل مؤخر الصحن الذي به الآن في عرضه هو الصحن
ببلاطات من شرقيه كذلك وفي جوفيه بلاط واحد بعد ان هدم
الصومعة التي كانت به فكونها متطاطية الاشراف وبنا به الصومعة
التي به الآن ولما شرع في بنائها جعل سعة كل وجه منها احدا
وعشرين شبرا يصعد لها على مائة درجة ودرجة وجعل بابها مما
جهة القبلة وغشيت بعد ذلك بصفائح النحاس الاصفر وتم العمل
في بنائها على يد احمد بن ابي بكر الزناتي المذكور في شهر ربيع الاول
سنة خمس واربعين وثلاثمائة حسبما كتب في التربيعة المنقوشة
بها في جهة الصحن وجعل في اعلاها قبة صغيرة ووضع في ذروتها
تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في الزج المذكور سيف
الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه وسبب جعله هناك ان الامير
احمد بن ابي بكر المذكور لما فرغ من بنائها اختصم اليه بعض حفدة ادريس

في السيف المذكور وطلب كل واحد منهم ان يستأثر به ويحوزه لنفسه وطال
النزاع في ذلك فقال لهم الامير هل لكم ان تسلموه لي وتتركوا النزاع
قالوا له وما تصنع به قال لهم اجعله في اعلى هذه الصومعة تبركا به
وليكون لكم ذكر بسببه فقالوا له وهبناه لك طيبة به نفوسنا فجعله
في ذروتها وقد نظم شعراء الوقت في هذا السيف مقطعات كثيرة فكان
اول من فتح فيه باب المقال للشعر شاعر هذا الاوان وحائز قصب
السبق في هذا الميدان ابو العباس احمد بن عبد الحاجري فقال

انكر السيف المنار بفاس ... قائلا ان ذاك داعي اعتصام
لا تزعه الحسام سل علينا ... جنة الخلد تحت ظل الحسام

ثم تلاه صاحبنا ابو عبد الله محمد الحاجري فقال

يقولون زجرا انه فاسا قضى لها ... بذلتها سيف المنار المشيد
لقد اخطاوا في زجرهم ضل سعيهم ... هل العز الا تحت ظل المهند

ثم تلاه صاحبنا الاستاذ ابو عبد الله محمد المدعو منديل بن آجروم فقال

يا اهل فاس سيف ادريسهم ... فوق منار الاثر محفوف
بالشعر وابشروا بخير الورى ... جنتكم تحت ظلال السيوف

وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى

بسيف منار بفاس غدت ... محاسنها دانية القطوف
وجنته تحت ظلال السيوف

وقال رحمه الله

وما خص ادريس المنار بسيفه ... لنقم ولكن كي يعم نداؤه
مشيرا اجيبوا داعي الله تأمنوا ... ومن لم يجب داعيه هذا جزاؤه

وقال الفقيه العدل ابو زيد عبد الرحمن المليلي

الم يغلس ولم تسمع لقائلهم ... سيف المنار كما شاؤوا بمكتسب
الم تر الشمس رقت تحت كاتبها ... والسيف اصدق انباء من الكتب

وقال الاديب المجيد ابو العباس احمد الدباغ

سيف ادريس بالمنار بفاس ... ليس للقم لا ولا للمخافة
انما كان وضعه السيف فيها ... معلنا انها بيت الخلافة

وقال الامير

وقال الامير الرئيس الاوحد ابو الوليد اسمعيل بن فرج الاحمر

وما السيف فوق المنار بعلة ... بفاس ولكن امره ايما امر
رآها ابن ادريس مقر خلافة ... فجرده عزما لاملاكها الغر

وقال الفقيه العدل ابو العلا ادريس بن رشيد

سل ادريس بالمنار حسامها ... مشيرا الى من شكوه العقاب
داعيا للصلاة ان لم تجيبوا ... فحقيق الجزاء ضرب الرقاب

وقال صاحبنا الفقيه ابو محمد عبد الغفار

ذكرت ولم اكن للذكر ناسي ... عجائب سيف ادريس بفاس
لم يكن بالمنار شرا ولكن ... فيه نفع من حاله كل باس

وقال صاحبنا ابو الفضل بن باشر رحمه الله

قل لمن انكر الحسام بفاس ... زاد عن اللغم قول ذي تجريح
سيف ادريس بالمنار شهير ... شهرة الدين بالاذان الصحيح

وقال صاحبنا ابو عبد الله محمد بن علي الغفار شهير بالجبار

شهرة السيف فوق المنار ... عزة للورى ودين النبي
سيف ادريس محمد للاعادي ... وانتصار الملوك بالاكوعي

وقال ابو محمد عبد الواحد الزيتوني

من يحسد الناس يقول لهم ... سيف ادريس نجم الناس في فاس
تمت لقائلهم بل سيف ذي شرف ... علا كما قد علا ادريس في الناس

وقال الاديب سعيد بن ابراهيم العقاد عرف شميبون

لادريس سيف اظهر الدين والهدى ... بافق منار للاذان تشيدا
فمن ظن ان القول ادرينا به ... فيهل ذل الا ظلام ضل واعتدى

وما ذكرنا من نظم اصحابنا في هذا السيف غير موافق لما ذكر المورخون
من كونه لم يجعل هنالك الا تبقا ذكر الامام ادريس رضي الله عنه وقد نظمت
في هذا المعنى

سيف ادريس مشتهرا بالمنار ... لا للغم التعقون والاغيار
انما جعله هناك ليبقى ... خالدا ذكره مدى الاعصار

فلنرجع الى ما كنا بصدده من تتميم الكلام في هذا المعنى وذكر الزيادات
فيه على وجه التقريب والاختصار ثم جعل تحت القبة المذكورة قبة

الكرسي منها لجلوس المؤذنين وجعلت المرائي سلم لاوقات الليل وانصداع
الفجر لاقامة الاذان وبدا انه يعتني المؤذنون بصوامع الاولية بجلوسه(؟)
على العادة المستقلة من قديم الزمان ولهم بمواضع منها بلاطات رخام موضوعة
بالحكمة وفي وسط كل بلاط قايم يستدل باستواء ظله على خطوط في البلاط بطول
ازمان النهار ومرور ساعاته قد نصبها اهل العلم بالهيئة من نظر وحوافقه(؟)
وهي لا يحرز افضل الصوابات وفي عطفات ادراجها سرج زاهرة يعرف بها
الليل ... يستعان بها على رعي الفجر واجزاء الليل ولم تزل كذلك الى ان
ولي القضاء الفقيه الخطيب ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن يكمون
فعمل قرارا هو المعدل ابو عبد الله محمد بن الحباك من محا
العلماء وجعله آلة وجعل علو وجه الالة طبيرا من نحاس فيه خطوط وانقاب
وفيه جرم منها الآلة بقدر معلوم الى ان يصل للخطوط فيعلم بذلك انفا اوقات
الليل والنهار في ايام الغيم ولياليها وذلك في خمس وثمانين وستماية ثم عطل
عنه واهمل في السنة المذكورة شرع في اصلاح الصومعة المذكورة
وتبييضها بالجص والجير بعد ان ... من خارجها ثلاثة قناطير
وربع قنطار ونصف ربع قنطار من مسامير الحديد والكلت ...
حتى صارت كالقراة المصقولة بعد ان كانت الطيور تعشش في ابراجها كانت
بها فما تنطلق ... بينها وبين ايضا الغرفة المطلقة على باب الصحن
واستعمل اليها مبيت المراعي للاوقات وجعلوا المؤقتين بها ... ومسا
المنجانة التي صنعت بهذه الغرفة لمعرفة الاوقات فان الشيخ العدل
ابا عبد الله محمد بن عبد الله الصنهاجي القطاع احترعها هنالك ورسم لها
ابو عبد الله ... الشرقية ... بعض السلطان بالاتفاق
فيها سنة سبع عشرة وسبعماية وذلك انه جعل في داخل الغرفة عرشا
المستعمل حجارتين خشب الارز وجعل في داخله بدنين كبيرين من نحاس
احدهما اعلى من الاخر وجعل الاعلى منهما ... الاسفل ... من نحاس
معه بالذهب ... الاسفل بقدر معلوم وجعل
جوف الجنح منخفضا ورسم في جانبي التغطية بروج الافلاك والاسهم
العمية والساعات ودقايقها واوقات الليل والنهار وجعل المسطرة
معلقة في علو خارج من الجنح ... التغطية المذكورة ...
وبابطا ... الذي يجمع في البدن الاسفل حتى ... علامة
الاترجة معلقا في الطرف الداخل من الفلول الخارج من التغطية

وطلعت

وطلعت بطلوعه المسطرة وكلما طلعت بطول الازمان ظهر قربا
الوقت المطلوب فاذا تم النهار والليلة المقبلة له ... الماء الذي
الاسفل للبدن الاعلى وعلق المسطرة كما كانت ثم عطل عن ذلك الى
ان تقدم للنظر للاوقات والرعاية للمؤذنين ابو عبد الله محمد بن محمد
... العربي رحمه الله لسبع واربعين وسبعماية فجدد المنجانة المذكورة
على وجه اتقن من الوجه الاول ولم يزل يجتهد في ذلك الى ان حضر ايام
مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله فامر ... في حدوثه وجعل
خارج الجنح المذكور تجاه المستقبل له دايرة وعليها شبكة كشكل
الاسطرلاب ... تدور حتى تطلعت المسطرة المذكورة يعرف بها
اوقات الليل والنهار واحدث فيها كل مع ذلك رخامات للاختبار
الاوقات ... الالات موقوف ذلك على من يستعمله وينظر فيه
اجزاء الليل والنهار وهو صنعه مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله الصومعة
ليعتبر المدينة ترتيبها ووقف عند المنجانة وما اتصل بها فأحسنه
واتم على الناظر فيه ... ووضع عليه ... على القيام بمصالح
الاسلام وذلك في سنة تسع واربعين وسبعماية وامر نصره الله وجعله
بانه ... ان يجعل باعلا الصومعة المذكورة ... وينشر فيه علم ابيض
في اوقات صلاة النهار وفيها سراج زاهر الاوقات صلاة الليل
يستدل ... من بعد عن المدينة ولم يسمع النداء في ذلك ... الامور
الاوقات وما يتعلق بها من وجوب الصلوات ويترتب عليها من
الحقوق في وجوه شتى من العادات والعبادات

سر به علم الدين ناشر رفع … للمهتدين به لتحقق ارشاد
يأتونه ... نحوه ... … ... احرارا ...

وقد نظم في هذا المعنى الكاتب صاحبنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
المتقدم ذكره

سر فاس للفارس قد بدا … وضع ادريس في المنار حسامه
فيهم العز للهدى ... … ناره معلما وشاد اعلامه

وقال ابو محمد عبد الواحد الزيتوني المتقدم ايضا

رفع المنار ابو عنان فارتقى … اعلا المنار وزاد فيه علامة
شهم الاذان بذاك شهرة رافع … ... دين الله فيه ...

وقاييل في المنجانة لاحد الشعراء

روح من الالات جسم ... الصفر … ... للطيف الحس والنظر

مستعصم لم يغب عن عينه سكر || ولم يثب عنه وهو خفض على حذر
وفي أعاليه جان يعضله || للناظرين بلا دهر ولا فكر
إذ ويلي كان في أحشائه فلك || حاف السير دأبا لم يبد لم يذر
مترجم عن مواقيت يخبرنا || بها خبير جد فيها صادق الخبر
تعرفنا بها الخمس في وقت وإن || غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن تسهرت بالأذكار تورقني || عرفت مقدار السهو والسهر
بجوده تلك صفات تخبره || عن التبيين الأسفار والحضر
ومخرج تلك الأجزاء ألطفها || من النهار وتعرف الليل والسحر
نتيجة العلم والأفكار صورته || يا حبذا ما أبدع الأفكار والصور

وقد صنع مولانا المتوكل على الله أبو عنان رحمه الله منجانة بطيقان وكؤوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته المؤسسة التي أحدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعارها كلما ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتنفتح طاق وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة على يد موقتة علي بن أحمد التلمساني المعدل وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه كيفية المنجانة بأوعب ما يكون في كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى عند شرح اسمه تعالى الحكيم فانظره هناك يذكر أن بعض الخلفاء كان يشدد على قومة الأذان في أن لا يصعد للأذان نهارا إلا من عرف عفته ووثق به في غض بصره محافظة على حرم المسلمين والاطلاع على عوراتهم وخوف فتنة تحدث بسببها من الأمر في ذلك وكان بعض من بالنظر في الحسبة فأمر المؤذنين بعمل عصايب على أعينهم حين الأذان بالنهار وقد جرت هيجان وفتن بسبب ذلك يطول ذكرها فمن ذلك الهيجة التي كانت بمراكش بسبب اطلاع مؤذن في حومة الكتبيين على دار ابن جامع وهي صحابية مشهورة لا يسع ذكرها كاتبها من ذكر المجانة ومن ذلك الهيجة التي كانت بفاس في يوم الجمعة الثاني عشر لشهر ربيع الأول سنة ست عشرة وسبعمائة بسبب الرجل الذي أزال الصمعا من أعلى دار وهي أيضا مشهورة وقال أبو العباس المبرد كان سبب هدم خالد بن عبد الله منارات المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالي الأنصار وهو هذا

ليتني في المؤذنين حياتي || إنهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير إليهم || بالهوى كل ذات حليم

وأما القبة

وأما القبة التي على العنزة فإنه لما تغلب المظفر بن المنصور بن أبي عامر حاجب هشام المؤيد على فاس بعد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بنى القبة المذكورة ونصب أعلاها طلسمات وتماثيل كانت قبل ذلك على رأس القبة التي كانت بأعلى المحراب الأول بالجامع المذكور مما صنعه الأوائل وهذا ما صنع في أيام الشيعة فجعل الطلسمات على العادة من حديد منها طلسم الفار على صورة الفار لا يدخلها ولا يعيش بها وإن دخلها اختنق وقتل ومنها طلسم العقرب وهو على صورة طائر منقاره يشبه ذنب العقرب فكانت العقرب لا تدخله وإن دخلها أحد في شوربة جرة فلا تتحرك ومنها طلسم في تفافيح من نحاس للحية فلا تدخله وإن دخلته اختنقت وقتلت وما يوجد بها الحيات وهو من عمار الجن وهذا لا ينكر فإن الله سبحانه قد أجرى العادة في ارتباط بعض الأشياء ببعضها إذا كانت في وقت مخصوص ولم يعلم قط على قديم الزمان وحديثه من لدغته فيه حية ولا عقرب وقد تعطل هذا الطلسم منذ أعوام وتركت هذه الصور وأزال الثعابين أو كان الأول أو في لابسها ذات ظل وذلك محرم في السنة إذا كانت كاملة الخلقة وأما السقاية والبيلة المستطيلة التي عن يسار الخارج من باب الحفاة الجوفية فإن المظفر أيضا أنشأها وجلب الماء لها من وادي حسن الذي بأعلى المدينة من ناحية باب الحديد وأما المنبر الذي صنعه المظفر بن المنصور وهو المنبر الذي صنع في أول ظهور زناتة فكان من عود الأبنوس والعناب وكان مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الإمام عبد الله هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن أبي عامر وفقهم الله تعالى وذلك في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وكان يخطب عليه إلى أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فتركه ووضع المنبر الذي هو الآن عليه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي ولم يتم في أيامه وتمم بعده حزبه من قضاة فاس على يد الفقيه القاضي بعده أبي مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي وصنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج وكان الذي صنعه وحزره الشيخ الأديب أبو يحيى العتاد وكان من عمر طويلا حتى كان زاد على المائة سنة وكان إماما في اللغة والشعر روى عنه جماعة من أهل فاس وغيرها وكل جمل النفقة فيه من مال الأحباس المستخرج من المظالم عليه ثلاثة آلاف دينار وثمانية دينار وسبعة أعشار دينار وحصة وكان في عشاان أحدهما جلد معزى

والثاني من صغيرة كتابة بين الاعتدة في كل يوم جمعة وذلك في شعبان سنة ثمان
وثلاثين وخمسمائة حسبما كتب في اعلا ذروته بالعاج والخطباء الذين خطبوا
عليه منذ صنع في آخر دولة لمتونة وفي آخر دولة الموحدية وصدر الدولة
المرينية اطالها الله تعالى الى زماننا اولهم الخطيب المبارك الصالح ابو محمد
عيسى وكان من احسن الناس خلقا وخلقا وافصحهم لسانا واكثرهم بيانا
وكانت موعظته تؤثر في القلوب لصدقه واخلاصه وكان يخطب في كل
جمعة بخطبة لا تشبه اخرى فاقام يخطب مدة من خمسة اشهر ثم اخذ
الموحدون المدينة فعزلوه عن الخطبة وقدموا مكانه الفقيه الصالح ابا
الحسن بن عطية لاجل حفظه للسان البربر لانهم كانوا لا يقدمون للخطبة
والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري فخطب بها الى ان توفي
في تاسع ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الشيخ
الفقيه الورع ابو محمد يسكر بن موسى الجوراني وهو احد اشياخ الصالح
المغرب في الدين والفضل والزهد والورع والتقشف والايثار
والصدقات كثير قيام الليل لا سيما في رمضان فقيل له ذات ليلة لو اراحت
نفسك قليلا واعطيتها حظها من النوم لكان ارفق بك فقال انما
اريد راحتها ثم انشد

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة ... تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بانك لن تنال ثوابه ... حتى تصوم نهاره وتصونه

يحكى عنه ان احد علماء الموحدين بفاس كتب للخليفة يعرض بان
ابا محمد لا يدعو له ووصله الخبر بذلك في حال ان خرج فبعث من جيئه بان
يشخص وكان لمن وقف بين يديه احد الصقالب وبيده اطرزين حربة
فاخذه منه بيده وقال لمن حضر منهم القتله فقدر ان ضربه بجبهته ففتح
بها حرمة فانبعث من الضربة دم كثير فبادر الاطبا لقطع دمه بجملة من الادوية
فلم ينقطع وكان ممن حضر عند الخليفة احد الصلحاء فقد برئ ذلك وقال
للخليفة ان كان همت بسوء فلينه فتركوا اشخاص ابي محمد فتاب
من ذلك وبعد وبرد الذي بعث باشخاصه فانقطع الدم من حينه وكان
له نفع الله به غنم وماشية كثيرة ببلاده التي نشأ بها ورثها عن ابيه
فكان يتصدق بالكثير منها وكان يوم يخطب له بيسير عجمة في لسانه فراى
بعد ذلك ان قدم خطيبا الفقيه الزاهد ابا عبد الله محمد بن حسن
ابن زيادة الله المزني واخر وبعد بالامامة ثم توفي ابو عبد الله
ابن زيادة الله ثالث وعشرين جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين
وخمسمائة فخطب بعده الفقيه ابو القاسم بن باستخلاف
ابي محمد

ابي محمد يسكر في ذلك الى ان توفي في يوم الاثنين الرابع عشر لشهر
رمضان المعظم سنة احدى وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه الصالح
الورع ابو عمران موسى المعلم لكتاب الله تعالى باستخلاف ابي محمد يسكر
له في ذلك وكان ابو عمران يعلم الصبيان في المكتب الذي بمنظرة ابي الربيع
وكان له صوت شجي حسن يبكي كل من سمعه يقرأ القرآن ولما كلف الخطبة
داخلته دهشة وانطلق صياحه ثم اخذه البكاء والرعا وقال اللهم
لا تفضحني بين عبادك يا ارحم الراحمين ولما نادى المؤذنون
الله اكبر الاول لبس احسن ثيابه وسار الى الجامع فقعد في حجرته
الاذان فقام وخطب ولم يتوقف ولم يتلجلج ثم دخل المحراب فاتى بالخطبة
وتصدر الخطابة في قراءته فبكى وابكى فلما تمت الصلاة اقبل الناس اليه
يقبلون يديه ويتبركون به ولم يزل خطيبا الى ان وصل الفقيه القاضي
ابو محمد عبد الله بن محمد بن المعافري فكان اول سؤاله لاهل المدينة
عن خطيب جامع القرويين فذكر له خيرا واثنى عليه كثيرا فلما جاءت
الجمعة راه فلم تعجبه صورته وقال فيه قولا فقال له بعض
من حضره لو سمعت خطبته لاعجبتك فلما سمع خطبته بكى وخشع فلما فرغ
من صلاته طلب منه المغفرة والدعا وكان سريع الدمعة كثير الخشوع
والغالب عليه في احواله الخوف وتوفي ابو محمد يسكر في الحادي والعشرين
لذي القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة واقام اماما بجامع القرويين
اربعين سنة لم يسه فيها بوجه لكثرة خشوعه في صلاته ولم يترك عقبا
ويشكر يسكر الذين بفاس ليسموا من عقبه وانما اشتركوا في الاسم
واستخلف لابي عمران الخطبة والامامة الى ان توفي في عشري شعبان من
سنة تسع وتسعين وخمسمائة فخطب بعده ولده الفقيه ابو محمد عبد الله
وسنه يومئذ ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الجلال والعلم والدين
والفضل والورع وحسن الصوت ولم تكن له صبوة في صغره ولم يزل
مشتغلا بطلب العلم منقطعا للعبادة ولما مرض والده ابو عمران
قيل له استخلف ولدك للصلاة فقال ان علم الله فيه خيرا فهو يستخلف
فلما توفي ابو عمران وحمل الى قبره ووضع على شفيره للصلاة عليه
ضج الناس بالبكا وطلب من يصلي عليه فقال قاضي البلاد لولده تقدم
فصل على ابيك فتقدم وصلى عليه وانصرف الناس وقدموه في موضع ابيه
واستحسنه الناس ولما اتى الناصر بن المنصور الى المدينة

فاس بعث اليه ليراه فوصله وسلم عليه وبقي يحادثه الى ان جاز وقت
صلاة الظهر فقال له ثم فصل بنا فعل فقال له الناصر قد تركت في حومتك
للصلاة بالناس قال تركت بها من هو خير مني وهو حافظ لرواية القرآن
عليه وذلك انه لما وصلني رسولك تحيرت في امري ما يتقدم لذلك وقلت لا اعلم
متى يكون الرجوع هل بالقرب ام بالبعد فصرت العظمي وتذكرت قول الرسول
عليه السلام مولاكم من افضلكم [؟] آية من كتاب الله فاعلمته بالقضية
واستخلفته في مكاني فقال له الناصر جزاك الله خيرا ثم امره بالانصراف واتبعه
حملا كاملا من ثياب وصرة فيها الف دينار فرجع الى الناصر وشكره ودعا له
وقبل منه الثياب واستعفاه من امر الدنانير فعفاه ولم يزل خطيبا واماما الى ان
توفي يوم الاحد الحادي عشر لرجب سنة احدى عشرة وستماية فخطب بعده الفقيه
ابو محمد عبد الله القصاص وهو الذي كان معلم الشار اليه باستخلافه فولوه فانتقد
عليه وطعن فيه وقال الناس انه يبعث صبيانا لكتب للفقيه وطولع بذلك من
له النظر العام فقال ان الذي قدمه للصلاة اقربهم بين الناصر امير المؤمنين
انه خير منه فاقروه على حاله فترك ابو محمد القصاص الكتب وصار معتكفا
في الجامع ساكنا الدار الموقوفة على ايمة الجامع الى ان توفي يوم الخميس
الثاني والعشرين لرمضان سنة خمس عشرة وستماية فخطب بعده
الفقيه الصالح ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي وكان من اهل
العلم والدين والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة بالاوقات توفي
سنة تسع وعشرين وستماية فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الحج
ابو عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بالخطيب وكان مجاب الدعوة وتوفي
سنة خمس وثلاثين وستماية فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع
ابو محمد عبد الغفار ستة اشهر وتاخر لنفسه وكان سبب تاخره انه
راى في المنام ان النبي عليه السلام يقول السلام عليكم وبلغه
ذلك فاستدعى جماعة من وجوه المدينة وقال لهم انه بلغني انه يقال
اني انوب النبي عليه السلام وبعدها فعلت ذلك قط ولكن انظروا الان لانفسكم
من يكون عوضا مني وبالله الذي لا اله الا هو لا تعرضت باحد ابدا فخطب
بعده الشيخ الورع ابو الحسن علي المعروف بابن الحاج وحكي عنه انه
لا تاخر ابو محمد عبد الغفار رغب الناس في الشيخ الصالح ابي محمد الفشتالي
ان ينظر لهم خطيبا فوعدهم ليستخير الله تعالى فيمن يصلح لذلك ونام
فراى في منامه ان الرسول عليه السلام يشير عليه بابي الحسن المذكور
فلما كان في صباح اليوم جاءه الناس وعدهم فقال لهم عليكم بابن الحاج
فاستدعي ثم رغب اليه بعد المرة فاجاب واشترط ان يسكن الدار المحبسة
على ايمة

على ايمة الجامع وقال لا ينبغي ان نكون بالمسكن عوضا للامامة ولا [؟] عن [؟]
فقيل له ان لم تكن تسكنها تعطل جميع حبس الحبس لذلك فقال انا محتاج
لا انظر لنفسي مخرجا فاجاب لسكناها على ان يكون يحيط حصر الجامع ويرى
ان ذلك عوضا من المسكن فانه ينتفع به وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستماية
فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الشاذر الورع ابو عبد الله محمد بن يوسف
المزدغي ثم قدم ولده الفقيه ابو القاسم للخطبة واقتصر على الامامة فخطب
ولده عوضا عنه وكان لما عجز للامامة استرجع ثلاث مرات فقيل له في
ذلك فقال انه اخبرني الشيخ الحافظ المحدث ابو ذر الخشني وانا اروي عليه
الاحكام في الحديث المشهور يوم توفي الفقيه ابو محمد بن موسى المعلم وولي
الامامة للصلاة بالناس في جامع القرويين وذلك في آخر عمره فلما
دعيت للامامة ذكرت مقالة الشيخ وعلمت ان اجلي قرب فاسترجعت
ثم قال لي الله يكلمني
اقتصاص عوضه وتطلب الى
واقام ابو عبد الله محمد في تاسع عشر شهر ربيع الاخر سنة خمس وخمسين
وستماية فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه ابو الحسن علي بن
ثم تولى ابو القاسم المزدغي فخطب بعده الفقيه ابو عبد الله محمد بن
زيادة الله المزجني الى ان توفي وباخره توفي ايضا ابو الحسن بن محمد رحمه الله
تعالى فخطب بعده متقدم فقهائها المدرسة واشياخها الشيخ الفقيه
القاري المتقن ابو العباس احمد بن ابي زرع واقام في ذلك مدة من سبعين
يوما فخطب بعد ذلك الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن
يكنون الى ان قدم الشيخ من عند الله واعنت له الامامة كان ذلك بامر مولانا
امير المسلمين ابي يعقوب سنة ثلاث وسبعين وستماية فخطب بعده الشيخ
الفقيه الصالح ابو الحسن يحيى بن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف
ابن عمرون الفتوح المزدغي في يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الاخيرة سنة
اربع وتسعين وستماية وتقدم للامامة الفقيه المحدث الاصولي ابو العباس
احمد بن راشد العمراني عن امر مولانا امير المسلمين ابي يعقوب رحمه الله
يوم عشرين لجمادى المذكورة واقام اماما ثلاثة اعوام ثم صرف عنها
واضيفت الامامة الى ابي الحسن المذكور الى ان توفي في خامس وعشرين
شوال سنة ست وعشرين وسبعماية فخطب ولده الفقيه المحدث ابو
الفضل محمد وكان حسن السمت قليل الضحك مولعا بقضاء حوائج الناس

من عرفه ومنهم من يعرض تارة بنفسه وتارة بجاهه وتارة برسالته مع شرح احواله حتى
انه لا يرد من قصده شاعرا كان او غيره بل يبادر بقضاء حاجات من قصده ورعا
عنه قول بعض الناس في ذلك فكان ينشدهم

لا تقبلوا الشعر ثم تضيعوه — فنام والشعر اخير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا — حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجاني عليهم تنقضي — وعقابهم يبقى على الايام

وكان الناس يتوسلون عند الخلفاء والامراء وغيرهم في حوائجهم
الضرورية عندهم وكان الرئيس سعادته في الفلاحة والزراعة والغراسة وكسب اموالا
كثيرة وكان كثير الانفاق لنفسه وحشمه لا سيما في الولائم والمواسم الى ان
ارتكبته ديون كثيرة وغفل عن ضبط ماله والتفقد لاحواله واشتغل بالكرم
فتعين عليه مال جسيم مبلغه اربعة وثلاثون الف دينار وثلاثمائة
من جملتها ودائع كانت بيده ولم يبلغ ما
دينارا كاملا من الذهب
والقى بيده وحوز من الاملاك والرباع وغير ذلك عند طلب الناس اموالهم اليه
وفيما بينهم عليه حاشى عشرة الاف دينار وخمسمائة دينار من الفضة اقسمه
مولانا امير المسلمين
الغرما بينهم حسب ديونهم
ابو الحسن رحمه الله عنه تحققه ذلك الامر فيه عن الخطبة والامامة ورأى ان
ذلك ما يقدح فيه وانفذ امره بصرفه فرفع له هذه الابيات من نظمه رحمه الله

مولاي يا خير الملوك ومن له — مزايا على كل الملوك الاكابر
اما آن ان تعفو وترحم شائخا — وحسبك ما زين الثنا والمفاخر
وحسبي تقبلي اليك بحرمة — لديك على ماذ في الانام وحاضر
فكيف يضيع يا مولاي ناظره — وانت امام ذو العلا والمآثر
وكيف يكون الزهد حسبكم — قضاة ما بها ثاني القريح والخواطر
وقد قال اهل العلم طرا بعاشرا — بان الورى كان ليس بصابر
وفاسر ما قد عدوها صغائرا — ولا قدح فيهم قوادح بالصغائر
ابعد عنكم دون فعل كبيرة — واسبغ تحصوا ان صعود المنابر
ولو كنت يا مولاي اعلم انه — رضي منبرا مثلي يكون مناظرا
لما طمعت نفسي لشيء من العلى — والزمته ما هون الصعود للاواخر

ولما وقف عليها عصم على صرفه وكتب الامر بذلك لمدينة فاس من منصورة
تلمسان في الثاني عشر لشعبان لسنة ست واربعين وسبعمائة وتوفي مولانا
ابو الحسن

ابو الحسن رحمه الله عن قصيدة ذيه من نظمه كان اراد رفعها الى ابنه الملك حين
خلعه الوزير فورثته قبول منه ذلك واجرى له جراية في
مجبى فاس مبلغها مائة دينار وخمسون دينارا فضة في كل شهر الى ان توفي
في عقب شوال لسنة ثمان واربعين وسبعمائة ومن القصيدة قوله

ما لي سوى المتوكل بالله الرضا — عبد الاله امير المسلمين علي
عال بسؤدده كالرمح معتمد — عال سواه فنيل السؤدد الاعلى
نور الخليفة عثمان الذي وصفت — منه المعالي وصفو جائز محتمل
اعني ابا حسن قطب الملوك ومن — احيا الخلافة في علم وفي عمل
غوث الملوك اذا خطب الحتم الم — غيث العفاة امان الخائف الوجل
بحر السماحة فياض لوارده — عذب ويروي من نهل ومن علل
يفتك بيوم هياج الحرب عنترهم — عند الطعان وما عنتر بمحتفل
ماض العزيمة وشجاعة — يرمي على كل ذي وصف وذي مثل

ونحو مثل هذا ان هو لبكثير من الشكر على ما في الانسان وحفظ الله
من الخير والصلاح ولتبتذكر الفاضل وبيته الفاضل فخطب من بعده الشيخ الصالح
الخاشع التالي لكتاب الله تعالى ابو محمد عبد الله بن محمد بن الجنيان من الحديث
وكان رحمه الله كثير الخشوع وصدقة السر وتوفي قبل ذلك مولانا امير المسلمين
ابو الحسن رحمه الله الى ان توفي في يوم الخميس سادس عشر من شهر الله
جمادى الاولى لسنة خمسين وسبعمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح
العالم الخاشع الورع الزاهد ابو الحجاج يوسف بن عمر الانفاسي بتقديم
مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله بعد الاستخارة في ذلك والنظر في الاصلاح
للمسلمين وقبل التقديم بعد ان ابدى اعذارا لم يسمع لوفرها للمصلحة التي تطلب
على اعذاره وفرح الناس بتقديمه له وشكروه لاختصاصه بالامور الدينية
وبعث له في اول خطبة خطبها كسوة سنية تشتمل على برنس ... كلاهما
اسفان واحرام للتردية ومنديل للتعمم وذراعتين من ثوب الرحات
وقبطية شوا... العمل قال الرسول الذي حملها له ان قيمتها ازيد
من مائة دينار من الذهب ولما وصلته خجل من ذلك وقال ان هذه الكسوة
لا تصلح لمثلي وحسبي علي من اللباس الكفاية وفهم منه طلب المعافاة في قبولها
فقال له الرسول انت من اهل العلم وعنوان ... وجوه لا خذها وانما قصد مرسلها
وسمعه بها التقربة لاهل العلم بشكلك وليمتاز الخطاط من غيرهم وليعلم
الناس بتقدمه لذلك ولما في الهدية من التودد فقبلها وشكره عليها

وتعالى بصلاح الاحوال وبلوغ الآمال ثم لبس بعضها في خطبة الاولى
ثم وهبها لمن يستحقها وهو السيد الشريف ابو عبد الله محمد بن عمران
المتقدم ذكره واقتصر على عادته في لباسه ولم يزل عنده محمولا على البر
والتقوى والاكرام والعز المستدام مقضي الحوائج على الدوام وخطب
نايبا عنه لاعوام ابدا لها الشيخ الفقيه القاضي الراوية المحدث ابو عبد الله
محمد بن الحاج ابي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي ومازال ابو الحجاج
يوسف [illegible] عن القيام بها الى ان استعفى القيام بذلك الفقيه ابو عبد
الله محمد بن علي المذكور واقام خطيبا الى ان اعتل حفظه الله وعطله عجزه
عن الخطبة فخطب بعده الشيخ الفقيه العدل الصالح ابو محمد عبد الله بن
الخطيب الصالح الورع الخير ابو محمد عبد الواحد بن الخطيب الاسعد
ابي عبد الله محمد بن ابي الصبر بتعيين مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله
لذلك في يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وسبعماية
وتوفي الفقيه ابو عبد الله بن علي بن عبد الرزاق المذكور في يوم الاحد
الرابع لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعماية وبقي الشيخ الصالح ابو
الحجاج اماما الى ان مرض وعجز عن القيام بالامامة فتقدم ولده ابو
الربيع سليمان نايبا عنه في ذلك بعد ابايته عنه ثم اجلسه في يوم
الاربعاء الثامن عشر لرمضان سنة ستين وسبعماية واستمر على الاستنابة
الى ان توفي والده المذكور في يوم الاحد الثالث عشر لشعبان سنة اثنين
وستين وسبعماية واستقل ولده ابو الربيع بالامامة وطلبه منه خيرة
واستنابة ثم تاخر عنها لما غشيه نفع الله به لامر ظهر له في ذلك واجتمع
للخطيب المبارك الصالح ابي محمد عبد الله بن ابي الصبر المذكور الخطبة
والامامة وذلك في اواخر عام ستة وستين وسبعماية ومن
الزيادات في الجامع المذكور الباب الاكبر الغربي الذي بسماط العدليين
بني من مال الاحباس في ايام الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى
السبتي سنة خمس وخمسماية كذا قال صاحب المقياس ثم صنع خارجه
قبة الجص المغربية التي عليه الآن الغريبة الصناعة سنة سبع عشرة
وثمانماية على يد الخطيب ابي محمد عبد الله بن موسى المعلم قال صاحب الانيس
والباب الاكبر ايضا المعروف الآن بباب الشماعين بني من مال الاحباس

في ايام

في ايام القاضي ابي عبد الله محمد بن داود سنة ثمان عشرة وخمسماية
كذا الكتب في قبة الجص المبنية بداخله وصنع مرتفعا واسعا على صفة الباب
القريب منه المذكور وركب عليه مصراعين عظيمين [illegible] على
ما هو الآن وحين حفر الناس في هذا الباب وجد عن يسار الداخل فيه حيث
هي الدكانة الآن عقب التهم انه كثر فيهدم بعض الاقباء فوجد فيه صهريج
طوله ثمانية اشبار وعرضه كذلك وفيه ماء معين وبالصهريج سلحفاة
عظيمة فما [illegible] فاختلفوا في اخراجها ثم ارادوا الاستشارة في ذلك فقهاء المدينة
فاشاروا بتركها في موضعها وان يعاد الاقباء كما كان وهو [illegible]
لا يصح والله اعلم لان السلحفاة اما ان كان فيها الحياة فلا يجوز البنا عليها وان
كانت ميتة فلا يجوز ايضا بنا المسجد على الميتة الا ان يكون ذلك الما متروكا
وليس الا البنا عليها تعذيب لها فلا يصح البنا عليها وايضا فقد يكون من
تحتم البنا [illegible] ضرورة وقوع الضرر لمن يريد اخراجها من موضعها اما ان
يكون بنا على [illegible] ذلك والله اعلم ولـ[illegible] ثم بنا هذا الاثر بخارجه
ثم عام ان اضطرمت نار بجهة باب السلسلة واحرقت ما حولها من الاسواق
الى ان وصلت قبة الخشب المذكورة فاحرقت وذلك في جمادى الاخيرة سنة احدى
وسبعين وخمسماية ثم جدد خارج الباب والقبة التي احرقت وصنعت القبة
من الجص على نحو ما هي الآن على يد عمال الموحدين في شعبان سنة ستماية
كذا الكتب فيها وكان الانفاق في ذلك من بيت المال وفي ايام القاضي ابي عبد الله
محمد بن داود زيد في الصحن بنا بلاطين من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية
كذلك وفرش الصحن في ايامه حسبما ذكره صاحب المقياس وفي الانيس
ان الصحن كانت به حفرات من صخر يجتمع فيها الما فتطوع العريف المتقن
ابو عبد الله محمد بن صغير بفرشه من ماله وكان لم ارجع من الدور ورثها عن
ابيه فباعها وانفقها فيما يحتاج اليه من آجر وجيار وغير ذلك وتولى فرشه
بيده ولم ياخذ في ذلك [illegible] من احد شيا وقال انما ابتغيت بذلك وجه الله
تعالى وهو الفرش الذي به الآن وعرضه من شرقه الى غربه مما يقابل [illegible]
البلاطات [illegible] صفا في كل صف مائتا آجرة وثمان عشرة آجرة فيصح تكسيره
اثنان وخمسون الف آجرة وتسعماية واربع وسبعون آجرة وفي طوله ايضا من
الاشبار ماية واثنان وثمانون شبرا وعرضه خمسة وسبعون شبرا وما زاده
القاضي محمد بن داود المذكور من جهة [illegible] الكتان تشتمل على
اربعة حجر في [illegible] يحجب بها الشمس عن المصلين العاجزين
عن الرواح [illegible] الذين لا يجدون محيصا عنه لتعالق الجامع
وذكر بان جعل فوقها سلسلات تجري في الجرموقة بالقرب من الزايدة

الصحن

على جوانب الصحن ترتفع بها الظلال عند الحاجة إليها ثم تحط وتزال
وتختزن إلى وقت الحاجة إليها أيضا وجعل في مواضع منها فرجا يتعرف منها
الصحو أو يتحقق كذلك وعمر أياما إلى أن تحرقت وأهمل النظر فيها وبقيت بكرها
ظاهرة إلى الآن كذا نقله صاحب الأنيس ومما أنشد في معنى ذلك بشيرة القاضي
المذكور

تطلعت الدنيا بعدكم عن الورى ... وفسحت لها أضحى بالخلق جامعا
شكى بصحنه شمس الظهيرة مخافيا ... فظللته ظلا عن الروح مانعا

ولما كثرت العمارات بالمدينة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
وضاق الجامع بكثرة المصلين إلى أن كانوا يصلون في الشوارع والأسواق
اجتمع فقهاء المدينة وأشياخها ورفعوا ذلك للقاضي أبي محمد عبد الحق بن
عبد الله بن معيشة الغرناطي سنة تسع وعشرين وخمسمائة وذكروا الضيق
فتمنع الزيادة [illegible] وعلموه أن كثيرا
من أوقافه اجتمع عنده كثير من أموالها [illegible] وحبسوها
من أموالهم وإنما تتقوم المنفعة في الزيادة فشاور في ذلك الأمير علي
ابن يوسف بن تاشفين وأعلمه أن ذلك من رفع علم الدين والتوسعة
للمصلين لا سيما في الجمعة التي هي من أعياد المسلمين فأذن له وتوجه الطلب
على المنظرة والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم فحضر إن الفوائد والمحاسبة
فكان ثمانين ألف دينار فخصه ثم شرع في شراء الأملاك التي كانت بقبلة الجامع
فاشتراها بأحسن شراء قيل إن أكثرها كان لليهود لعنهم الله وحين كمل له
شراء ما أراد أخذ في هدمه وبيع ما لا يحتاج من نقضه فاجتمع من ثمن ذلك
أزيد من الثمن المشتراة به ثم أخذ في البناء في هذه الزيادة فكملت عشر
بلاطات من صحنه إلى قبلته وأخذ في عمل القبة التي بأعلى المحراب وما بعدها وما
يتوسط البلاطين المتصلين بها فعمل ذلك بالجص المقرنص الفاخر الصنعة
ونقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة وركب
في الشمسية التي بجوانب القبة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه
وتم ذلك على أحسن ما أريد ثم أخذ في تغشية بعض أبواب الجامع بصفائح
النحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن وأمر بعمل المنبر الذي به الآن
على نحو ما ذكر قبل من العمل الذي كان به قدره كان وقد ذكرته ثم بدأ بالعمل في بناء
مقدم القبة حيث [illegible] ثم عزل القاضي ولم يتم ما أراد وذلك
في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد تقدم غيره ولم يشرع في شيء منها
ذلك وبقي على حاله إلى أن ولي قضاء المدينة الشيخ الفقيه أبو مروان عبد
الملك

الملك بن بيضا القيسي في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فتمم ذلك في
أيامه على نحو ما نواه ابن معيشة واقتصر على ما غشي في أيامه من الأبواب
وكان الفراغ من هذه الزيادات في شعبان من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
ويذكر أن النقش والتذهيب الذي كان بأعلى المحراب وداير القبة التي
عليه غطي بالكاغد وجعل عليه الجص حين عزم الخليفة عبد المؤمن بن علي
على الدخول لفاس والصلاة في الجامع المذكور بأن ذلك كان مشغلا
للمصلين وبقي كذلك إلى الآن ويذكر أيضا أن التراب والكذان الذي بني
به هذه الزيادة كان خرج من كهف عميق تحت بعض هذه البلاطات الثلاث
والكهف إلى الآن مطبق بالقطعة التي بين المحراب وباب المدرج المجوف هناك
دونه الآن الذي صرف في ذلك كان يستقي من البير التي بصحنه كذا ذكر ذلك أيضا من
الشيوخ كذا نقل صاحب الأنيس وأما الثريا الكبير التي
فإنه كانت بموضعها قبل عمل هذه ثريا شكلها في الجرم فدثرت وتكسرت
وصنعت هذه في أيام الفقيه الخطيب أبي عبد الله محمد بن المعلم رحمه الله
وكان الإنفاق فيها سبعمائة دينار وسبعة عشر دينارا وخمس دينار من
الدنانير الفضية كل ذلك من مال أحباس الجامع وفيها من النحاس ما يعجز
عنه الإدراك في زنتها سبعة عشر قنطارا وأربع قنطار وربع قنطار
وعدد [illegible] خمسمائة وتسعة
[illegible] خمس قبلة وكانت تارة
تسرج كلها في ليالي رمضان وتارة لا تسرج إلى أن ولي الشيخ الفقيه
أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر قضاء المدينة فرأى أن لا تسرج إلا
ليلة من رمضان فيكون ذلك سرفا في مال الجامع وإنما تسرج فيكون ذلك
تعظيما لما أريد بها فاقتضى نظره أن استطلع رأي أمير المسلمين مولانا أبا
يعقوب وأنهى إليه أمرها فأمر أن يأخذ في ذلك بالأوسط من الأمر
وأن تسرج كلها في الليلة من الليالي السابع والعشرين من رمضان وأسرج بعضها
في سائر ليالي العام فجرى العمل على ذلك إلى الآن فما قيل فيها

تحكي الثريا الثريا في تألفها ... وقد تلوا [illegible]
كأنها [illegible] ... منه التضمخ جوف الليل [illegible]

وما قيل في السرج

وانظر الى السرج في الليل مشرقة   من الزجاج حواشيها وهي تلتهب
كأنها السن الحيات بارزة   عند التحير فما تنفك تضطرب

وقال الفزاري في الثريا

وانظر الى تنورية نورها   يصعد بالاذكار نحو الغسق

وقال ابن عبدون

كأنها في شكلها ربوة   اشتعل النور بها فاتسق

وقال محمد بن خلف

يا حبذا ثريا الشريف اشرقت   كأنها ما نشأ مغيب الشفق

وقال ابن المرحل

اعيذها من سوء ما يتقى   ونحاة العين ومن حرب الغلق

واما المودع الذي عنده الآن فانه عمل في ايام الفقيه القاضي الصالح ابي محمد يشكر فيوضع فيه مال الاحباس ووثائقه وكان الناظر في بنيانه الفقيه ابو القاسم بن محمد وجاء بانه حفروا عنه الى ان وصلوا الارض الصحيحة ثم ملؤا ذلك بالرمل والجير وجعلوا اسفله طاقة من الحجار الكبار مبسوطة وطاقة من الرمل والجير ورخص داخله وسقفه تحت الارز وعمل له خمسة منافس بصفائح من حديد وباب احد هي مجدد ولكل وذلك على الوجه المحكم والعمل الوثيق وجعل لكل باب منها ثلاثة اقفال ثم جعل في داخله ثلاثة صناديق كبارا عليها اقفال وثيقة ثم وضع فيه اوقاف الجامع وامانات الناس فاحتيل عليه في ايام القاضي ابي عبد الله محمد ابن عمران وسرق منه مال كثير واجتهد في البحث عليه فعمي خبره واما البيلة والخصة ودار الوضوء واحداث السقاية وتوسيع باب الحفاة وتجديدها وفتح الباب المقابل لعين ابن حيون من الجهة الشرقية من الجامع المذكور فان ذلك في ايام الفقيه الصالح ابي محمد يشكر ومكلى ان قدم رجل من جبال بني يازغة يعرف بموسى بن عبد الله وكان له مال كثير واستوطن فاس وازم صحبة الشيخ ابي محمد يشكر وذكر له ان بيده مالا طيبا ورثه من ابيه وان اباه اكتسبه من حرانة بيده في ارضه وبما شيته تتوالت عنده وهو يريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه جامع القرويين

فتوقف الشيخ ابو محمد الى ان ينظر في ذلك وصار الرجل يلح عليه الى ان عمل دار وضوء بقرب الجامع المذكور ليكون عونا للمصلين فلما راى عزمه وتصميمه فيه الخير حمله الى الجامع واوقفه بين المنبر والتراب والحلقة من ذلك الى الطيب فحلف له ثم قال له اشرع الآن فيما اردت واحد ينفعك علمه ووجدت مشقة كان في موضع دار الوضوء الآن واشتراه بمحمد الى واسع في تحضه ثم بحث عن موضع يجلب منه الماء لذلك فاعلم عن الفحص بشيء استشار فيها اهل المعرفة والنظر فلم يروا له اعلى مين بوبيرة بحرينو وتعرف العين بعين جرمال ومنها الى الجامع خمسماية ذراع فاشترى ذلك باصحاب العين من صاحبه مراده ثم رغب في الشيخ ابي محمد ان يعلم بولف الناصر الموحد وبنيانا من ان يجلب هذا الماء حيث يحتاج له من الشوارع فاجابه الى ذلك وعلم به الناصر فاسعفه فيما طلبه ثم شرع في بناء دار الوضوء وجعل لها خمسة عشر بيتا ولكل بيت مصراعان من خشب وسقف كل بيت طاق لو خوف النعو واخريه فوق بابه واعلق على كل طاق من طبقتان ابوابها من صحيحة من الزجاج تسرج فيها واوال الليل وآخره وفي كل بيت انبوب من نحاس ينصب منه الماء في بقعة محفورة في صحن طوله ستة اشبار وعرضه شبر وجعل نصف شبر في سمتها قبة من جص مغربية العمل مرقشة بانواع من الاصبغة ومعلق في وسطها ثريا وليها خوارير من زجاج تسرج فيها واول الليل وفي آخره ايضا وادار من الجهة القبلية والشرقية والغربية احد عشر طاقا له خود الضوء بجميعها وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر طولها عشرون شبرا وعرضها خمسة اشبار وفي وسطها ذراع مجوف وركب عليه شبه خرشفة فيها عشرون ثقبا للماء من نحاس مموه بالذهب ينصب منها الى البيلة وادار بها متحد الجلوس التي صفين وجعل بينه وبين البيلة جلجبا يتخدر منه الماء المستعمل في الوضوء الى منعس داير بذلك كله وكسي الرخام الابيض وعمل على حوضها معرفة للقيم بها وقعد الى العين المذكورة فرآها تنحدر من غار تحت جرف عظيم وتجمع الماء منها في بيت مقبس كبيت الحمام فجعل في ازائه صهريجا مربعا طول كل جهة منه عشرة اشبار عقدها بالرصاص فيخصر فيه الماء الخارج من البيت ثم اخرج منه على شباك من رصاص يشبه القشورة الى قنو اديس من رصاص سعتها الكرمن شبر ثم مر بالقنو اديس الى عقبة الملاحين الى المسجد الشرقي الى حائط القيسارية الى سوق الجزارين الى سوق الغرازين الى المعدة التي اعدها

بالحانوت المتصلة بالبيلة الغربية من باب الحفاة واخذ ما احتاج لدار الوضوء
وصرف بعض ذلك للبيلة المذكورة وللسقاية المتصلة وللبيلة التي بباب الحفاة
المغشية بالرصاص وطول هذه البيلة سبعة وعشرون شبرا وهي متصلة خارج
الباب وقد عمل عليها شباك من خشب وفتح فيه اربع خوخات وارتفاع هذا الباب
ستة عشر شبرا وسعته ثمانية عشر شبرا وطول المبلط الفاصل بينه وبين
الصحن عشرون شبرا وعرضه ستة عشر شبرا فرش في ايام الفقيه
القاضي ابي عبد الله محمد بن ابي الصبر بالرخام الابيض والاكحل وسيوفق
الآن من جهة العدة المذكورة الى هذه البيلة المغشية بالرصاص ثم ينصب
منها على رخام ابيض وازرق واحمر يغسل عليه الحفاة ارجلهم ثم يغور
الآن في قناة معداة ثم قدم لعمل البيلة والخصة اللتين بالصحن رجل
من سجلماسة يعرف بالفقيه ابي الحسن بن عبيد الله السجلماسي وكان
منه علم الوزن والايثار وصنع بها له ابو عمران موسى بن حسن بن ابي شامة والبادع
وكان من اهل المعرفة بالبناء والهندسة بعد ان استشير في ذلك الفقيه
العالم ابو محمد عسكر فاستعانا بذلك وعمل البيلة وما حولها من الرخام
الابيض جعل طولها اثني عشر شبرا وارتفاعه ستة اشبار وحسن بها
طولها ستة اشبار وعمقها كذلك وجعل ما يقابل الواقف اليها من جهة
بذلك تكفيف رخام وجعل على ذلك
وشماله الواح رخام
ما يقابل الواقف شباكا من الرخام من مائة واربعة وعشرين خاتما
مستوية الاحكام وكتب فيه من حجر منقوش بخط بديع بسم
الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وعلى اله وسلم تسليما وانا من الجارية
لا ينضح منه الا تمام وانا منها لما يستعمل فخر جمة الاوان منها لما يهبط
من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون لكل من شهر جمادى الاخرة من سنة
تسع وتسعين وخمسمائة وحجر تحت ذلك من الواح الرخام خمسة انابيب
ينصب منها الماء في البيلة المذكورة ثم يغور منها بعد امتلائها في عشر
ثقبا معدة لذلك في الجهة الشرقية منها وشجر في جهة الخصة الغربية منها
من جهة غربيها قد عملت من طاقتين في دورها اثنا عشر شبرا قائمة على
ساق معقود على نصفين كل ذلك من النحاس الاصفر فيصعد الماء منه
من البيلة في النصف الواحد من الساق ثم يغور من وسطها من ثمانية
انقاب بجوانب خرشفة من نحاس مموهة بالذهب ثم يغور منها الماء
بعد امتلائها في انقاب معدة لذلك بجوانبها ويجتمع في النصف الثاني
من الساق فلا تزال البيلة والخصة مملوءتين بغير ماء يسيل منها
لعمارته

لعمارة المصلين والعاكفين والواردين والصادرين في وجنوح ثمم
شكرتهم متى احتاجوا اليه من ليلهم ونهارهم وهذه فضيلة تذكر
على الدوام لهذا الجامع ولم تسمع في ذكر واعان عليه خلفا الاسلام
ثم بنا بخمس من الخصة الى السقاية التي بالجهة القبلية من الجامع المذكور
واما الغفرة التي به الان فانها صنعت حين كان الفقيه ابو محمد
عبد الله محمد بن ابي الصبر ناظرا في احباس جامع القرويين ومن اوابها
وانفق فيها ذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة وفيها من غرابة الصنعة
ونفاسة الصنعة واتقان الالصاق ودقة النقش وجلالة الاحكام
ما يقضي بالعجب ويحير بالاعجاز ومما اصلح الحائط الشرقي وصحح
سقف البلاطين به وذلك في ايام مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل
رب العالمين ابي يوسف رحمه الله تعالى سنة اثنين وثمانين وستمائة
وانفق فيه من مال الجزية والاعشار واصلح ايضا الحائط الجوفي
من جهة الحائط الفاصل بينه وبين الدار الموقفة لسكنى ائمة الى
جهة باب الصغير الذي هنالك وذلك في ايالة مولانا امير المسلمين
ابي يعقوب رحمه الله وانفق فيه مثقال ذهب جاء له من غنائم الروم
وكان اصلاحه على يد قاضيه بالمدينة الفقيه ابي غالب ابن القاضي
ابي عبد الرحمن المغيلي وذلك سنة ست وتسعين وستمائة ومما
احدث فيه الباب المدرج الذي بقبليه وذلك ان العوالف وانك
بالمدينة ابا الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجدوي تامل الباب المدرج
الذي يخرج من امام الثاجر المحدث بجوفي جامع عدوة الاندلسيين
من الموقفة واراد ان يخترع مثله في جامع القرويين ويصنع له هذا الباب
يكون مثاله الباب المذكور مبناه ~~على هيئة~~ على هيئة الآن وصنع
استعمله نقيم المرنك مصفحة بالرصاص وجلب له الماء في عيون ابن الصادي
المعروفة بعين الكرازين لما خطر عليه الحفاة وغيرهم وعمل عليه شمالا من خشب
الارز يه خط عليه من ازاء الصحن الى الادراج وصنع باعلى الادراج بابا
مغلقا يدفع عن خشيه القبلة الجامع وصنع من يمين الدرج ومن اسفل الادراج
سقاية والجص المغصور وانواع الاصبغة كل ذلك بصناعات
محكمة كثيرة العمل وجلب اليها الماء من الموضع المعروف ويذكر انه انفق
في ذلك من مستغلاته في سنة ست وتسعين وستمائة واراد ان يعمل مثل ذلك لامير
المسلمين ابا يعقوب رحمه الله ويعمل ذلك بحرمة لم تزل من كانت بادر بالسعادة
اليه واوقع لامير المسلمين انه احدث بالجامع ما لا يحتاج اليه بغير اذنه فامر

أمير المسلمين بغلقه إلى أن ينظر في أمره فغلق لذلك ولم يزل الباب مغلقا إلى
الآن وممـا أحدث فيه الأمير المرحوم أبو حفص بن أمير المسلمين
أبي سعيد رحمه الله أن جعل في الجهة الغربية من الجامع شبعة من الطيقان لزيادة
الضوء في تلك الجهة وأمر أن يجعل على الأبواب مصفح [illegible] وشرع الصناع في عملها
واستشكل [illegible] الأئمة وخشوا من خرق الأرز [illegible] بصناعة [illegible] ارتفاع [illegible]
سبعة أشبار وطول الأوسط منها للأثنين شبرا وهو الذي فتح فيه الباب وطول
كل واحد من الآخرين خمسة وعشرين شبرا فرأى الناس ظهر لهم أن في ذلك
مضرة بانقطاع الصفوف وحيلولة تمنعهم من الإمام وغير ذلك من الوجوه
ورفعوا الأمر في ذلك لمقتضيها ثم بينوا له ما ظهر للناس من الضرر وقالوا له
مع ذلك أمور مصلحية فرجع عن عمله ثم وضع في جملة من جهات الجامع وهو
الآن مغلق بغلق الباب المفرج المغلق وكان ذلك في سنة اثنى عشر وسبعمائة
وكان الإنفاق فيه من مال الأحباس على يد الناظر فيها أبي عبد الله محمد بن
حيون وكان مولانا أبو الحسن رحمه الله أراد أن يجعل بهذه الأجناب المذكورة
مقصورة بجامع القصبة من فاس لبعض [illegible] فانقضى ذلك [illegible]
العلم وأمـا الثريا الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب
الكتبيين فهو الذي عمل [illegible] حين استفتح المسلمون
على يد الأمير الأسعد الشهير أبي مالك عبد الرحمن بن أمير المسلمين أبي الحسن
رحمهما الله وزنته فيما ذكر من الوزن [illegible] عشر قناطير وكـان عمله
للناس أمير المسلمين أبو الحسن أمر أن يعلق هنالك بعد أن يعمل في جوانبه أغلاق
قائمة منفرجة يستقر في جرمه ظاهرا ويعمل عليها مراكز يعقد بها الزجاج التي
تسرج فيه وبأسفله أوجال [illegible] اثنى عشر [illegible]
[illegible] وفي وسط ذلك طلق شبه الخاتم نابت من الأوجال وفي أسفل حروف الطلق
بيادق مخروطة ونطاق مصور في وجه الأوجال [illegible] الأصغر المنقول
المخرم بالصناعة المحكمة وكتب على النطاق الحمد لله وحده أمر بتعليق هذا الناقوس
المبارك مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو يوسف يعقوب
ابن عبد الحق أيد الله سلطانهم وأسعد عصرهم وزمانهم وهذا الناقوس [illegible]
المغنى بجبل الفتح افتتحه بعون الله وتأييده مولانا أمير المسلمين أبو الحسن
أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك أيده الله ونصره
[illegible] سبحانه وكان افتتاح الجبل المذكور في يوم الأحد الخامس
لشهر شوال المبارك من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة والله [illegible]
[illegible] وقد وضع في الجامع المذكور حين [illegible] النافورة كما ذكر على [illegible]
هنالك قبة من الجص منقوشة العمل [illegible] شوال سنة سبع وثلاثين
وسبعمائة

وسبعمائة وكان الإنفاق في ذلك [illegible] سبعون دينارا من الذهب من مال الأحباس
على يد الناظر فيها أحمد بن محمد بن الأشقر الصنهاجي وأمـا
خزانة الكتب التي [illegible] على الموضع الذي [illegible] كان محلها
شيم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله من حب العلم وإيثاره والتعظيم والرغبة
في إيثاره والاعتناء بأهله ومجالسه والتودد لقرائه ومستغليه أمر بصنع
هذه الخزانة وأسبغ طلبة العلم بأن أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع
من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على
اختلافها وشتى ضروبها وأصنافها [illegible] ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب
الله الأوفى وعين لها قيما لضبطها ومناولة ما فيها وأجرى له على ذلك جراية
وافرة [illegible] وعناية وذلك في جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة
وأمـا خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله
في قبلة صدر هذا الجامع فإنه صنعها لما [illegible] على الناس من تلاوة القرآن
في الموضع [illegible] وحبس [illegible] جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط العتيقة
[illegible] وأباحها لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب على كل جزء منها بخط
يده [illegible] الأعوام والليالي والأيام وعين لها من يتفقد بإخراجها
من هذه الخزانة وإحرازها [illegible]
[illegible] الناس [illegible] ولا يتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
وأجرى له جراية [illegible] شهر شوال سنة خمس
وسبعمائة وأمـا [illegible] القراءة [illegible] التي أمر بها مولانا
[illegible] قبلة هذا الجامع [illegible] الجامع [illegible]
الأوضاع الواقع على حسنها [illegible] التي لم يسبقه إليها أحد من أئمة هذه
الأوضاع [illegible] صناعة
الأصباغ فإنه أتقنها على [illegible] والترتيب بالأصبغة ما يبتهج به [illegible]
[illegible]
فيها [illegible] القرآن [illegible] في كل جمعة [illegible]
جرايته [illegible] شهر [illegible]
شهر رمضان سنة [illegible] وخمسين وسبعمائة والله [illegible]
[illegible] الأبواب [illegible] وكان
ثمانية عشر بابا منها في الجانب الغربي باب مجلس القضاة للخصوم
الجنائز وباب الصغير المعروف بباب الشماعين وباب الأولياء
[illegible] لكثرة ما يدخله من العباد وباب الكتبيين وباب الشماعين الأكبر

وسعته ستة عشر شبرا وارتفاعه اربعة وعشرون شبرا وباب الموثقين
المقابل للشريعة العراقي وارتفاعه مثل الذي قبله وفي الجانب الجوفي
باب الحفاة المقابل لدار الوضوء القديمة وباب الصفر المعروف بباب الكتبيين
سمي بذلك لكثرة ملازمتهم للقعود بسقيفته حيث يباع الورق للناس وباب
ميضاة النساء الاصغر الذي يخرج الى الصحن وباب الحفاة المقابل لباب حومة
الرماة ويلي ميضاة النساء الباب الاول ... السقاط الفاصل بين الجامع ودار
الحسبة وفي الجانب الشرقي الباب المقابل للطالعة تعرف ابن حيون ويعرف
بباب ابن عمر سمي باسم النجار الذي صنعه وهو المحدث في ايام ابي محمد ...
والباب المقابل لدرب ابن حيون والباب المقابل لدار الحسبة التي في اعلى
والباب المدرج المقابل لدرب السبع لويات ويتصل بزاوية القرا التي احدثها
مولانا المستنصر وفي الجانب القبلي باب المدرج المحدث ... الجوزي
المغلق الان والباب الاصغر الذي يدخل منه ... القبريين المعروف
هناك لم يدخل ... اعني الناس ... الملك ... الخصومات
والايمان وتقاضيها وغير ذلك مجلس القضاة والصحن الصغير
والزاوية التي هناك بمقدم القبلة بابان فاصلان للمذكور بين مقدم الصحن
والزاوية المذكورين وقبلته وخمسة ابواب الباب الاول يخرج منه الخليفة
لشهود صلاة الجمعة عن يسار المحراب وباب بموضع المنبر وثلاثة ...
لها اغلاق عند فتحها من العمل الجيد والصناعة الغريبة والباب الاول من
هذه الثلاثة القريب من المنبر منه يخرج الخطيب للجمعة ومنه يتوجه للصلاة
على الجنائز ومن مقام المصلي بالجنائز التي تكون هناك وعدد سواري الجامع
... ثلاثمائة سارية ... عشر من جملة ... الخلقة المشتركين
جملتها اثنان وثلاثون وسائرها ... الاتصال الغربي
في احدى هذه السواري الثلاثة ... عن يمين الواقف مستقبلا تحت الثريا
الكبرى يبصر من دارها جميع ابواب الجامع التي بداخله وطوله من شرق الى
غرب ثلاثمائة شبر وثمانون شبرا ومن مقدم القبلة الى الجوف ثلاثمائة
شبر بعد ... المقدم المذكور واضافته له ... وبلاطاته احد
وعشرون من شرق الى غرب وستة عشر من مقدم الجامع الى جوفه على ان
يكون مقدار ... بلاط واحد وينفرج فيه الصحن الاكبر الذي طوله
من شرق الى غرب مائة شبر وثلاثة وتسعون شبرا وعرضه من قبلة الى جوف
خمسة وسبعون شبرا وبلاطات السقيفة احد عشر بلاطا
وساحة جميعه ثلاثة مراجع وثلاثة ارباع المرجع ... ستة و...
من المصلين اثنا عشر الف شخص على ان يكون في البلاط سبعمائة وخمسة
وستون شخصا ... اربعة ... وفي الصف مائة وستون شخصا

وفي اوساط

وفي اوساط البلاطات مائة وخمسة وعشرون شمسة بعد حط موضع السواري
وعدد ... التي تسرج فيها المصابيح مائة وثلاثون ثريا جميعها
من النحاس مختلفة الصناعات ... والمهمات منها عشرة كبار
معلقة في البلاط الاوسط ... وفي هذه العشرة ... الكبيرة
بالنحاس وباقي الثريات وذلك مائة وعشرون معلقة في سائره وجملة ما
فيها من المراكز التي يسرج ... يوقد بعضها في سائر ليالي السنة ويكثر
منها في ليالي رمضان ويوقد جميعها في ليلة السابع والعشرين منه
وعدد مصابيح الزجاج التي تقد ايضا فيه بطول ليالي السنة سبعون
... العراقيات منها خمسون وسائرها ... وبلويات ...
من خارجه ... في موضع معروفة ... سراجا يشترى بها
الماء ... على الكل ... ذلك واجرى لجوانبه
من ... ويسعى ان تكثر سرجه ... اذا اكثر ...
كان الاضاءة بها ... ونفيا عنها ... الريب ...
للسابلة ... بيوت الله عز وجل ... الظلم ...
... على اختلافها في بعض الاعوام عشرة الاف دينار ... ومن
جملتها العنقر الكبير ... الذي بسوق الشماعين ... عليه
من قبل امير المسلمين مولانا ابي يعقوب رحمه الله ... الذي
كان من جملة المستخلص لجانب الخلافة ... الاول ... في ايام
ولاية ابي عبد الله ... القاضي ... اذ ذاك بها ... الفقيه
ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ... واصلاحه ... اراد
ان يكون باذن من الخليفة ... ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر
المذكور على نفسه ... ان لم ... المحاسبة والاقامة المعلوم
... فبناه ... هو الان عليه ... القاضي ابي
عبد الله المذكور ثم اعلم بذلك الخليفة ابو يعقوب رحمه الله ... الى
... في ذلك فاعتذر له ... ما التزم له ابو عبد الله بن ابي الصبر
... الخليفة وامر باشخاصه ... اليه ... بعد قدوم
... من ذلك عليه ... الخليفة ... حاضرا ...
الطلوع للخليفة ... عليه ثم انه طلع ... ذلك
على الزاوية التي دفن بها الامام الحافظ ابو بكر بن العربي رضي الله عنه
واذا ... خارج ... ابا عبد الله بن ابي الصبر ...
... صنعك بجميل ... وخلقه في ...

منسك تحفظا ذلك ودخل على الخليفة فحكى بهذه الالفاظ فحمده باثره
واظهر له الاكرام والاعتنا به ثم ساله عن سبب اخره الحضور بعبارة للخبزت
فقال له امرته بذلك فانه غلب على ظني انك تحتبس على جامع القرويين فاستحسن
ذلك منه وشكره واستعمله في الحين بقضيه كما كان يتكلم القاضي عن ابي
عبد الله بن ابي زرع وغيره وصارت هذه الالفاظ التي تواطئ بها وكان
تحبيس المعروف بسببها عند الناس كالعرب فيما حرزا اذا رعاشوا لها
بها من حوايجهم وظهر نفعها للكثير من الناس في مطالبهم ويذكر ان الرجل
الذي القاها اليه هو الخضر عليه السلام وهذا الدعا المذكور في
غالب الاوقات اربعون شيخا وثم على ذلك فوايد وعوايد مختلفة
على وادا قراءة الحزب من القران فيه بعد صلاة الصبح والمغرب
فانه كان امر به يوسف بن عبد الحق بن علي في سائر بلاده كما فعله ابو حاجب
الصلاة وانتدب لذلك ناس واستمر الى ايالة مولانا امير المسلمين ابي
الحسن رحمه الله واجرى جراية لمعيشتهم من القراء الذين القراءة في سائر جوامع
بلاده وا... قراءة الكتب فيه لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة
حزب الصبح وان بعض ايمة الجامع في ايالته بقي مدة من اعزهم الله تعالى
كان كثيرا ما يقرا اثني يديه في اول النهار تفسير القران للثعالبي وحلية الاوليا
لابي نعيم وذكر في جملة حقه وكان له قارى حسن يجيد لذلك فيحضر بعض الناس
وكان اكثرهم يجلسون ناحية منفرقين حلقا حلقا ادربا يا خوضون في امور الدنيا
الى ان يطلع النهار فينصرفون واشار بعض الائمة على القاضي ان
يتصدر قرب المحراب في الوقت المذكور ويقرا هنالك لان
هذه الكتب للاسماع فاجتمع اليه سائر من كان يجلس به واستمتع الناس
بذلك كثيرا وربما يجتمع في المجلس الآن من الناس في سنة احدى وخمسين وذلك
وستماية واعلم بذلك او ذاك من كان من الخلفا فاستحسنه وامر على القارى
لذلك جراية ثم بعد ذلك زيد في قراءة الكتب قراءة الاحيا كتاب ابي حامد الغزالي
وفي ايالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله امر بزيادة كتاب الشفا
للقاضي ابي الفضل عياض فاستمر العمل على ذلك الى الآن و...
حزب ... وانتقالها بقبلة فيما حكوه عن امير المسلمين ابي يوسف بن عبد الحق رحمه
الله لما امر ببنا المدرسة اليعقوبية التي بحلفا على ... ابي امية
الاولى في سنة خمس وسبعين وستماية وكان الذي تولى ونصب قبلتها المحور
ابو عبد الله محمد بن الحباك ولم يشاركه في ذلك غيره من اهل علم الهيئة وظهر
انها

انها منحرفة عن قبلة جامع القرويين انتهى الامر في ذلك لمولانا امير
المسلمين ابي يوسف وقال بعض من حضره من لا يحسن السؤال والجواب
في ذلك الذي بحضرتها جوفا من انحراف بعضها عن بعض فوايد رحمه الله
ان جميع نفعها ربما نسيطر في ذلك فيحكى انهم قالوا له ان جامع القرويين
قد نصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها الامام الصالح مولي ادريس
ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وموضعه ذلك حضور منا السنين وقد صلى اليها جماعة من العلماء والصلحا
والقضاة وامراء العدل ممن يقتدى باقوالهم وافعالهم فمن الاجل لا حق
ان يظن بهم الاخير افعلهم بغيره اولى ولا احرفوه وما يظهر في بعضها من انحراف
بعض فقد يتغاربا من الصواب على رايه ممن يرى ان الطلوع ... من
قبلة مغربنا من قبلة سائر الآفاق انما هو الجهة بمكة شرفها الله تعالى
والجهة من ذلك حاصلة وهذا القول هو الراجح والاكتفا يعتمد على تعيين السمت
اعني سمت البيت الكريم غاية ما عند الناس في الاقاليم الغائبة عن مكة شرفها
الله المحافظة على جهة البيت لا سمته واجتهاد الاكثر اقرب الى الصواب
ولا تخلو من الخطا وقد يعتبر مخالفة الاكثر الشنا ... بين المرسشتي والاخبار
في صلاة المصلين ما قررناه على حاله رحمه الله وقد سلم هذا الجامع
من البدع الشنيعة ولم يتعرض فيه كما تعرض في بعض جوامع الآفاق ومما
ظهرت فيه بدعة عندنا فانه ... ان يعلم من يريد بها فيتلوها وجرى ذلك اول
التاسع والاربعين وسبعماية ان بعض الموجودين لقراءة القران فيه كان
يقعد بين يديه الاحداث من الصبيان تجويد القران فيجتمع اليه الى
ان حدثت فتنة بسبب ذلك فرفع ذلك الشيخ الصالح الفقيه المدرس ابي
فارس عبد العزيز بن محمد القروي رحمه الله فاشار على بعض من له حكم بالفد
ان يشتد في تغيير ذلك ويمنع كل المنع فمنعهم وفرق جمعهم واحتج لما
علم ان هذا الصبي القارى بين يدي هذا الشخص ليس ممن يقصد التعليم
وليس جلوسه لجلوس المعلمين امرا حاجة علا على ما في المدونة وغيرها
من اقامة القري يجلس في المسجد يوم الخميس وغيره لقراءة القران وتعلم اذ
ذاك الشيخ الاستاذ المقرى ابو الحسن بن سعيد رحمه الله فحضره وقت
مع الشيخ ابي فارس المذكور فكانت في استقراره على قيام هذا القارى والقود
وما هو

الا خففوا عني فما الاهوا الحسد
اقول احتسابا بالذي هي تعصيا
دور العلم في الاثر احاحقفا تقيم
رياء وعجب وانتصاب وشهرة
الم تر ما سن الغريب اعظم قدرها
لفعل عبادات تسمع ومن ظن
بدت بدع فيها ولا منكر لها
تبرز للاثر آ فيها جاعة
وما لهم فهم تميز ما حوت
سوى انهم يبدو
فبعضهم من جملة وحبيسها
ويقرف تلميذا لذلك خصه
وعن مثل هذا خفر الحد ماكر
وبعض بلا صيد له حسن صورة
تراقص نحل قد مليئ بسمها
فيتقعده اما ملاصق جنبه
يقطع بالقرب منه مكانه
ويعقبه جرا من الوطر افعا
يردده في الجهل باملو
وجل كتاب الله عن حالة الغنا
وهذا لعمر الله اكبر بدعة
لفاعلها ذم وتغليظ زاجر
وينصب بالقرآن للاوطار او كما
وما هذه آثار قوم تعودوا
فقد غرضوا عند السماع بصوتهم
ويتلونه والدمع قرح جفنهم

لمنهج اهل الحق يسعد الصدق
على اسوة من تحفة العقل
ولم يبق منها غير ما رسم يجيد
وتسبيح من يرجى لتسبيحهم رغد
وجاء حديثها العظمى التي هي تعتقد
لكم رجال الله باتوا منها وقد
وابوا بها الا فحقت قلبها السد
ولا خيرة تبدوا لو بهم ولا تعد
طريقة اهل الضبط حلوا لا عقد
وتطريب الحان لمن راح او غدا
حتى جعلوا ليس يحصره الحد
لو ان كل اسبوع تعلمه الصد
وقال لكم يجدي في المسجد الطرد
شبابا بصوت قبيل الهوى حد
فما ظنها خشف وظاهرها شهد
وانما احاطا بارز الذوق بدله يشود
وذلك عند الله جل اسمه بعد
به صوته كما القلوب بلا تعدو
بارع وحد هكذا الصدر والورد
وتطريب اصوات بها قبح الوجد
تقابلها المنع المجمع والرد
وايضا وعيد في القيامة او وعد
يبوء من التحريم فاعله وعد
من اهل كتاب الله افنائهم الجد
وفي ليليهم ايضا
جوارية تشاب قابلها الجد

سعت

شعت يوم الاعصار يبكي تعقدهم
حتى يسلون الاخيار اكرم بعقدهم
وليس لهم يبدو
جميع علوم الخلق حين تفرعت
او اموره والنهي قد اوضحت به
وقد حرمت فيه الفواحش كلها
وقد جاءنا الاخلاص فيه او امر
فمن اديا احكامه مستحقا
ومن صحبة الاحداث اليسر يحتوي
فالظهر في دينه ليس يرتدي
وقد جاء في بعض الاحاديث انهم
لا يدعي الصبيان الا لمكتب
فعلو وانه يبر خنا ومعه ركس
بما تقرب الاشكال فاحذر سلوكها
فكم من جليل القدر قد حط قدره
فلا تحملوا التحقيق فان نحتكم
فمن كان ذا شيخ يعلم يقيس به
وقال الامام الشاطبي حسبنا
خذوا النظم عني وانظروا احسنه
ومن لا اهل العلم والدين خادم
فهم محمد تعالى قد الله ينفعني بهم
واما رعاع الناس من كل مدع
وليس لهم الا ما احسنهم حلاوة
فهم مثل ما قالوا كثرا منعنا

خيال الشيء
واصحابهم قوم قد ابتدعوا نكد
معاني كتاب الله اذ منه يستمد
ولا حدود الله فهم كما حدوا
ولكن عمى الجهل عن ذاك تستعد
سوى الظهر او ابطنت حالها صرد
وقوم رأيا الناس جاهه الورد
فقد رام اركان الشريعة تستمد
من الذم اذ من فعله عدم الحمد
ولو بعد حيث او شيا طلبه جند
منهم حقيقة شبه الفوار كلا جحد
وليس لهم من صرط غيره رشد
بعد او افشها عند الشيخ يشتد
طريقته حتى يحبك اللحد
ورفقته لما نالهم الخير د
ونفسي قد اوحيتها ذاك لا تقعد
باخلاص تقوى الله يتبعها الزهد
بابياتها التي تكللها المجد
فلا يختشي من الحق عمرو ولا زيد
نعم ومشهد الحق لهم من الوفا عهد
وشيطني الشيء من الله يا سعد
فليس له قبل لوعيد ولا بعد
مغنته منها الصحا
ومن انتم حتى يكون لكم عقد

وقد تقدم الشار اليه في هذه الابيات وهو الذي انشا
الرجز المزدوج المشهور في شانه مع عمرو بن يوحنا النصراني لكونه

كان يسعداه ودار كيته في اشتاه لم فتنه تغدو يا بعد عن الضلال بعقل الهدى وعد

من عاشق نار بعداه ودان ... ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان ... معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يد الا ... كانما
يا ويحه من عاشق ما يلقى ... هذا دمع مسبلة ما جرقا
ناطقة وما حارت نطقا ... فهو عن حب له وستر قا
لم يبق منه غير طرف يبكي ... يا دمع شق نظام السلك
تقطعه نيران الهوى تسك ... كانما قطر سحاب تحكي
اليه عز الانس في السحار ... هذا رخويه سبا العذار
وغادر الاسد بها حيارى ... زريعة الحب له اسارى
رايم بدار الروم رام قتلي ... بمقلة كحلاء لاسن كحل
وطرة بها استطار عقلي ... وحسن وجه وقبيح فعل
ما ابصر الناس جميعا بدرا ... ولا راوا اسمر غصنا خضرا
من تحتو عمرا ... ظبي بجبينه سحائب خمرا
ها انا بعقده معقود ... والدمع في خديه له تعقود
ما ضر من يغتدي امرؤ جود ... ولم يقع فعل الصدود
ان كان ديني عفو الاكلام ... حق سعت لي نحفضه الايام
واحتسب الصلاة والصيام ... وجار في الدين لنا الحرام
يا ليتني كنت له حليبا ... اكون منه ابدا قريبا
ادبر خصبا واشم طيبا ... اذا شئنا اخشى في الارقيبا
يا ليتني كنت لعقربا نا ... الثم منه الثغر والجثمانا
او جانيا عليه كنت او كرانا ... يا ساريب الطاعة لي أحيانا
يا ليتني كنت لعمر مصحفا ... يقرأ مني كل يوم احرفا
او خاتما يكتب بها الفا ... من ادب مستحسن ما صنعا
يا ليتني كنت لعمر عوده ... او جبة يلبسها معدوده
او بركة من اسمه ما خوذه ... او سبعة في داره مشغوله
يا ليتني كنت له زنارا ... يدير في الخصر حيث دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا ... صرت له حسنيف ازارا
قد والذي يبعثه لي اخماني ... واقتنى عقرو الصنا [illegible]

ظبي على البعاد والتداني ... تحل محل الروح من جثماني
والكبر من خده المدرج ... واحرقني من ثغره المفلج
او شئت ثغر الطرف منه الادعج ... اذهب للنسك او التحرج
اليك اشكو يا غزال الانس ... ما لي من الوحش سوى الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي ... لا تقتل النفس بغير النفس
جدل لما جرت حسن القد ... وارع لما ارعى قويم العهد
وامر لصدود من طويل الصد ... قلبي واجده من الك وحدي
ما بات في جمر الهوى غريق ... سكران من حبك لا افيق
تعرف في العدو والصديق ... محترق ما مسني حريق
فليت شعري هل ترى لي ... من سقم [illegible] طويل
ام هل الى وصلك من سبيل ... لعاشق في جسد نحيل
في كل عضو منه سقم والم ... ومقلة تبكي بدمع او بدم
شوقا الى بدر [illegible] وصنم ... حنه اليه [illegible] اذ ظلم
اهواه اذ نام [illegible] وتجعل ... يا عمرو يا عمرو قلبي بالكمد
اخشم يا بدر [illegible] المتبهد ... ان امر اسعده اذا سعد
يا عمرو [illegible] بالمليح ... الا كعقد القول خبر فصيح
يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
وذلك الروح في نعوت المبعوث ... فرتحن بالنطق من السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منه في الفم
ثم استقام في حشوم الاقدام ... يعلم الناس وما يتغطم
بحق من بعد الممات قمصا ... ثم غدا [illegible] وما قصصا
وكان منه نعيا مخلصا ... [illegible]
بحق يحيى صورة الطير ... وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور ... يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد [illegible] وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع ... خوفا من الله [illegible] طامع
بحق قوم حلقوا الروسا ... وعالجوا طول الحياة بوسا

وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مشتغلين بعيون عيسى
بحق بارة مريم وفولس ... بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق فاقيل بحق يونسا ... بحق حزقيل وبيت المقدس
وليبنوا اذ قام يوحنا ربه ... طهروا من كل سوء قلبه
ومستقيلا باقيل ذنبه ... وتاليا ما جاء به
بحق ما في تلك البيوت ... من نافع الالواح والعيون
بحق ما يوثر عن شمعون ... من بركات الخوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الازهر ... وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر ... وعيد لوقا الرفيع الذكر
وعيد سعيا والمياه ... والوحش الذي يكف الخاطر
يشفي بما في الاخير خابر ... ومن دخل السمع في المخاطر
بحق سعيهن من العباد ... فانجوا ... الفلاد
فارشدوا الناس الى الرشاد ... طرا هدى من لم يكن يرتاد
بحق ستة عشر من الامم ... صاروا الى الافاق يتلون الحكم
حتى اذا اجتمع الرجاع الظلم ... صاروا الى ... وقاموا بالنعم
جمعا في حكم الانجيل ... من حكم التحريم والتحليل
وجرى ... جليل ... عن جليل
بحق من عبد الشفيق الحاكم ... بحق لوقا ذي ... الفالج
بحق ... الحكيم الراجح ... والشهدا بالبيلا ...
بحق معمودية الارواح ... والمذبح المشهور في النواح
وما به من لابس ... وعابد بال ومن ...
بحق تعمر ... الاجساد ... وشويكم القهوة ...
وصعود تسبيحك الى العباد ... بما يسكن السواد
بحق ما قدس سعيا فيه ... بالصوم ... وبالتعزية
بحق سطوا روما ... من ... ما جرى له ...
شيخا قد كان من شيوخ العلم ... وبعض اركان التقى والكلم
لم يعطا قط بغير فهم ... مرتبا كان حياة الجسم
بحرمة الاسقف والمطران ... والمائليق ... الرباني
والقس والشماس والديران ... والقس الاكبر والرهبان

بحرمة المحبوس في اعلى الجبل ... وحار الوجاحين حطا المستقر
وبالكنيسة القوية الاول ... وبالسليح المرتضى بما فعل
بحرمة الاشعث ذا الكرم ... وما جرى ... ابن مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم ... وحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الفصح والاشراق ... وليلة الميلاد والسياق
والذهب المذهب للمفارق ... والفصح الاهل بالاخلاق
فكلهن قد علم قد اسس ... فوس قس على الشماس
الاراسة في رحمى ادب ... بامرة الكرسي الحبيب
تعوذ ابن من شوق الى الكرب ... واقص ... اخص التقرب
ذا انظر اجود في صلاح امره ... محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا في جميل الشكر ... ثم نشر الف ظ ونظم شعر

ولولا ما التزمناه من شرط الاختصار ... لشرحنا ما قاله من المحن والآفات ... بعضهم من القحط والزلازل بيمنه وكرمه وطوله وهذا الجامع قد يشكو بلسان حاله من جفوة الازمان عن اعماله وذلك ان الذين اسسوه ... وشيدوه وحبسوا له الاوقاف وعظموه ومضوا السرف منها في غير وجه وحفروه انما فعلوا ذلك بنيات صالحة وعزمات ناجحة ولكل امرئ ما نوى فينبغي ان يسلك فيه طريق الاولين واتبع فيه سبيل المؤمنين والقيام بما له جعل الا من اركان الدين وعلمها رتبها ونظا فيها شرط في صلاة المصلين وهي بيوت اذن الله ان ترفع وتطهرت للقائمين والعاكفين والركع ... احوال الدنيا الدنية فيها ممنوع واعمال الامور ... الاخروية ... والصلاة هي اول ما ينظر فيه من اعمال العبد فاما التقرب الى الله بتقوى لها والطهر والبرد ... فرحم الله عبدا ادى حقها وادى الامانة التي طوقها وضبط احوالها ... ما لها واخذه من حله بالطريق الصحيح بعد اجتهاده وصرفه في مواضعه بالنظر الديني ورجح السداد فذلك يكون من رفع قدرها ... جزيل الله اجرها ... مستصحبه باعمال الاعراب والاعتقاد ... ان ... يروى ان مسجدا من المساجد ارتفع الى السماء شاكيا الى الله باهله يتكلمون فيه باعمال الدنيا فاستقبلته الملائكة وقالوا ابعثنا بهلاكهم ...

الا ما موشي في كتاب النهي عن الحوادث والبدع الذي من تواليفه وحملني
على جمع هذه الفصول التنبيه لمن ولي امرهما من الغفلات واتقاظهم
من السيئات عسى الله ينفعني وإياهم في الحياة وبعد الممات
واما بنا جامع الاندلسيين فان المؤرخين اتفقوا بتاريخ فاس
وذكروا انه ابتدي بنائه سنة خمس واربعين ومائتين على يد مريم بنت
محمد بن عبد الله الفهري المعروف بالفهري اشترت ارضه بوجه صحيح وانفقت
في بنائه من مالها الموروث من ابيها وسمي بذلك لان الامام ادريس
ابنه او ادريس لما وفد عليه وفد من اهل جزيرة الاندلس انزلهم
بالعدوة الشرقية من فاس فسميت بذلك عدوة الاندلس فلما اسس
جامعها وكان من اعان على بنائه جلهم من الاندلسيين الى الكنيف
هناك سمي بجامع الاندلسيين قال البكري في مسالكه انه كان من سقف
بلاطات وله صحن صغير فسيح به اصول جوز وغيره من الاشجار وساقية
غزيرة تشرف بسقاية محمد ثم ان احد عمال الناصر
عبد الله المرواني حين تغلبوا على بعض بلاد المغرب زاد فيه زيادات من جملتها
الصومعة التي فيه وذلك في جمادى الاولى سنة خمس واربعين وثلاثمائة
فنالت في عشية بابها ونقلت الخطبة اليه من جامع الاشياخ في عهد الامير
حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي حين تغلب على فاس
سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان اول خطيب خطب به الفقيه الصالح
ابو الحسن بن محمد الصدفي فلم يزل الامر على ذلك الى ان تجدد فيه
الزيادة المشار اليها على يد احد عمال الناصر لدين الله ولم يزل كذلك
الى ان انتهى الناصر الموحد سنة ستمائة اذ احتاج الى الاصلاح
والبناء فامر ببناء الباب الكبير الجوفي الذي به المدارج وسعته عشرون
شبرا وعدد ادراجه اربع عشرة درجة وباسفل ادراجه شباك من خشب
الارز فيه ثلاثة ابواب من الاوسط مشابكة من النحاس الاحمر يفتح لها الا
من هؤلاء المكسوة الذي يمر باسفل هذا الباب الاكبر المذكور لسقي الكتاف
ووضع اعلا هذا الباب قبتان احداهما من جص مقربسة
والثانية من خشب الارز خارجة وكانه ما طلسم الكتاب فلا يدخله طائر
بها وقد تعشش فيها وتعطل في سنة عشرين وسبعمائة وامر امير المؤمنين
الناصر ببنا سقاية وبموضع لبيت صلاة النساء وعليها مقصورة لامام الجامع
وموضع عن يمين الخارج من باب المدارج المذكور وبالغرب منه دار الوضوء
تماثل التي بجامع القرويين وخصصها امر بعملها السيد ابو زكرياء يحيى
خلفا الموحدين وانفق فيها من ماله ولم يزل الجامع كذلك الى ان اختلت

سقفه

سقفه وجلت من سواريه فاتى من خطيبه الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد بن ابي
قاسم بن ... سنة امر هذا الجامع لامير المسلمين ابي يعقوب رحمه الله
فامر باصلاحه على ما هو الآن عليه وذلك في سنة خمس وتسعين وستمائة وكان
الناصر الموحد قد جلب الماء من عين بخارج باب الحديد فاختل في هو احتج وجلب
له الماء من وادي مصمودة الى ايالة امير المسلمين ابي ثابت عامر فامر بجلب
الماء له من العين التي بخارج باب الحديد وبنا السقاية بالجهة الغربية من
صحنه وذلك سنة سبع وسبعمائة وعدد بلاطاته من شرق الى غرب خمس عشرة
بلاطا بعد تحويل اقراضه بالماء وفي طوله على هذا من قبلته الى الجوف خمسة اشبر
وعشر صفة كذلك ويكون في البلاط الواحد واسطية من اشخاص المصلين
ثلاثمائة شخص وعدد ما يملاه من المصلين على هو اربعة الاف شخص ومائتا
شخص وعدد سواريه مائة سارية واربع وثلاثون سارية
واما صومعته فسعة كل وجه منها ستة عشر شبرا وفيها من
الادراج اربع وسبعون درجة وارتفاعها سبعون شبرا فيما ذكروا
وفي اعلى هذه الصومعة قبة لجلوس المؤذنين للتناوب الاذان وعدد
المؤذنين والقومة في هذا الجامع عشرون شخصا ولهم عوايد وفوايد
معلومة عندهم وقد علق في اعلى هذه الصومعة صار من خشب ينشر فيه
علم ابيض في اوقات صلاة النهار وفنار مسرج في اوقات الليل في اول
ايالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله والعمل في هذه الصومعة
يقتدون في اذانهم باذان اهل جامع القرويين على العادة القديمة الجارية
الى الآن وعدد ثرياته الكبار والصغار احد عشر ثريا الكبار منها
خمس قد علقن بالبلاط الاوسط منه وبقيتهن في سائر الجامع وفي الجامع
معلوحة منه وفيه من القصريات العراقية خمس بحرابه وثلاثون
سيارة وفي فرش صحنه من الآجر من شرق الى غرب مائة صف
واثنان وثلاثون صفا في كل صف مائتا آجرة وعشرون آجرة فيجمع
في تكسيره تسع وعشرون الف آجرة واربع وتسعون آجرة وعدد
الجامع من الابواب تسعة من الجانب الغربي ثلاثة ومن الجوفي باب
المدارج المذكور ومن الجانب الشرقي خمسة منها اثنان يدخل منها لمقدم
الجامع الذي يصلى فيه على الجنائز ومن مقدم الجامع حيث الاعظم باب له
درجات احدهما على يسار المحراب لدخول الخلفا ومنها اراد شهود
صلاة الجمعة والثاني على يمين المحراب والمنبر ومنه يخرج الخطيب يوم الجمعة
للخطبة ومنه يتوجه للصلاة على الجنائز وكان جملة من الفقهاء يكرهون العلم

وهو اصبح من هو اوكانوا اهل سوريه من يعتقدونهم يقصدهم الناس من اقطار
البلاد فمن مجرد لتلاوة القران ومن مدرس ومن طالب لما شاء من فنون
العلم ومجالس شتى منه وكان بزاويته جملة من الصلحاء والعباد ويلزمونه قد
تفرغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوى وطلب العلم
والادب واقتباس الدعاء فمن المتعبدين الملازمين لهذا الجامع الفقيه الصالح
الولي الورع عبد الله بن القاسم الاندلسي نزيل عدوة الاندلس من
فاس وهو ممن ادخل علم مالك اليها وهو من مشاهير فقهائها
لقي اصبغ بن الفرج وسمع منه كذا قال صاحب المدارك حدث عنه ان
رجلا رأى في النوم قائلا يقول له ان شئت ان ترى نظير معاذ بن جبل فصل
في الجانب الغربي من جامع الاندلس فالرجل الذي يدخل وعليه برنس وصفته
كذا وكذا فهو ذاك ففعل الرجل ذلك فاذا بعبد الله بن القاسم على الصفة التي
ذكر له القائل في النوم وهو رضي الله عنه ممن لحق دراس بن اسماعيل رضي الله
عنه ويذكر ان دراسا لما قدم بكتاب محمد بن المواز قال له عبد الله بن القاسم
ما الذي جئت به فاخبره على الكتاب المذكور فقال له اذاكره فجعل دراس
يذاكره المسائل وجعل عبد الله يجيبه بما حفظ وما لم يحفظ قاسه على اصول
اصحاب مالك فما خالف كتاب محمد بن المواز الا في مسالة الشذوذ اشهاد
انسانا في اوان الدراس ولم يشعر ثم انه دراس فوجده لا يدري فجعل
هو عجيب ومدام لاكثر الحق بخط الفقيه ابي عبد الله محمد بن القاضي
الاعدل ابي العباس احمد بن الميمون الفشتالي ومنهم
كان يلتزم هذا الجامع وولي القضاء بعدوة الاندلس الفقيه الصالح العاقل
الاعدل الورع ابو محمد عبد الله بن محمد بن محسود السعوار تقدم ترجمته
بشاور به ونزل لجامع بني مسافر من عدوة فاس الاندلس وكان عدلا
في احكامه ورعا لا تاخذه في الله لومة لائم رحل الى القيروان ولقي به
الحافظ الفقيه ابا محمد بن ابي زيد رحمه الله وشاهد تاليفه للنوادر
وكان عنده من رجال المدونة وكان رحمه الله اخرج زيادات مختصر ابن
ابي زيد على المدونة ثم ولي القضاء بفاس لما ذكر وكان رضي الله عنه رجلا
متقللا من الدنيا مجتهدا في الاحكام واقام الحدود كلها قتلا وصلبا
وقطع الايدي واقام اللعان ولما توفي رحمه الله طلب في فاس من يعامله
في شيء فلم يوجد له معامل فبحث عن سمنه وزيته من اين يشتريه فوجد
له صاحب

صاحب بجلماسة الزيتون يشتري له الزيت ويبعثه اليه وكان له
بقرتان وبايتهما قوته من حوارة ونوجته تغزل له كسوته منها الشباب
القطنية حدث عنه انه نزل به ضيف وهو قاض ولم يكن عنده في ذلك
الوقت ما يقدمه لضيافة ضيفه فاعطته زوجته شيئا من غزلها فاعطاه
لبقال كان يشتري منه زيتا في شيء من سمن فاعطاه سمنا حارا لم يقدر
على اكله فلما كان بعد ايام وهو قاعد في موضع احكامه وصل اليه ذلك
البقال مع رجل آخر يطلبه بشيء له قبله فلما رآه القاضي قام من مجلسه
وقال لبعض جلسائه احكم بين هذين فاني اقوم الى شغل فحكم ذلك الرجل
بينهما وانصرفا فلما رجع القاضي الى موضعه اعلمهم ان ذلك البقال
تعامل معه ازاو لكذا وقص عليه امر السمن وخشيت الآن ان يجلس بين
يدي للحكومة ان تميل نفسي عنه او لا اسمع منه كما اسمع من خصمه
فتركت القضاء بينهما لاجل ذلك توفي رضي الله عنه سنة احدى واربعمائة
وقبره شمالي بباب الجيسة عليه والدعاء عليه مستجاب نفع
الله به ومنهم الشيخ الفقيه ابو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف
ابن النحوي رحمه الله ونفع به من اهل العلم والزهد والجد والاجتهاد
وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة وحدث عنه انه لما دخل الروم مدينة
صقلية خرج منها من كان من اهل الاسلام وخرج منها رجل من اعيانها
وكان معه سراخليا حصل ببلاد الاسلام عمي فنام ليلة فراى النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله ابتليت بالجلاء عن بلادي وعمي حالي
ثم فقدت بصري قال فاجرى النبي صلى الله عليه وسلم يده على وجهه فابصر
الرجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقرا السلام مني على اخي عيسى فاستيقظ
الرجل وقد رجع اليه بصره وكان يرى انه يدرك مدة عيسى عليه السلام
ثم توفي الرجل بعد ذلك فاخبر الفقيه ابن النحوي بخبر الرجل فقال رحمه الله
ما اراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل اقرا السلام مني على اخي عيسى الا ادرك
زمانه وانما اراد عيسى عليه السلام كان يبرئ في السقطة وانا ابراتك
في المنام وحكي عن الشيخ الصالح ابي الحسن علي بن حرزهم
رحمه الله انه قال لي والدي رحمه الله امض للفقيه ابن النحوي واساله
في الدعاء فانه رجل صالح فاتيت المسجد الذي كان يصلي فيه فوجدته فيه
وذلك عند صلاة المغرب فسلمت عليه فقال لي ابن من انت فقلت له

ابن اسمعيل بن حرزهم نفع الله به ثم اقيمت الصلاة فدخل المحراب فكبر فقرأ
الشرب الاول على منكبيه لم يقدر لما غلب عليه من الهيبة والخوف ومنهم
الشيخ الصالح ابو عبد الله بن الحوت وشق كان رحمه الله ونفع به مشهورا
بالخير والعفاف وكان اماما بجامع الاندلس شرفه الله بالذكر فيه من مدينة
فاس حرسها الله حدث جار له من سبيل الله حكى عنه رضي الله عنه ان الوالي رام
ان يتولى تحفيظ مدينة فاس عدوة الاندلس فامتنع كل الامتناع وكم عقدوا
عليه في الاحالة لما اريد عنه فامر بسجنه وتكبيله وان يكون سجنه في داره
فبقي على تلك الحال مدة فلما كان في يوم جمعة امر بطلبه فاله يحيى سلمان
ان يقرب له ماء يتوضا به للصلاة فلما اخذ في الوضوء انحل الكبل من
رجليه من غير واسطة كرامة له نفع الله به وقصدنا بهذه الحكايات
وامثالها البركة في نشر احوالهم وحكاياتهم تنزل الرحمة عند ذكرهم ومن ذكر
امثالهم قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة وقال بعض الشيوخ الحكايات
جند من جند الله تعالى يثبت بها قلوب اوليائه ونقول ومشاهده قوله
تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال علامة
ابن حبيب سمعت محمد بن يونس يقول ما رايت انفع للقلب من ذكر
الصالحين وقال سفيان للفضيل بن عياض في كلام جرى بينهما ان لم
تكونوا صالحين فانا نحب الصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء
مع من احب ولله در القايل

احب الصالحين ولست منهم ... وارجو ان انال بهم شفاعه
وابغض من بضاعته المعاصي ... وان كنا سواء في البضاعه

وهنا انتهى الكلام القول فيه قيدته واختصرته والله سبحانه ينفع
به بمنه وقصدته مع اني لست من اهل التاليف ولا من اهل المعرفة
بالتصنيف في نظر ما قال الناس فما عليه حتى تعلم من باس واشكلت

سعوا ايك ما نسب المصطفى ... الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

فمن وجد خطا فليصلح ... او زللا فليسمح فالعصمة من الخطا معتذره
والاوقات للبحث غير مستغفرة والامر كله لله ولا حول ولا قوة الا
بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا اثيرا كمل هذا المختصر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
نفع الله به من قراه ومن كتبه

كتاب تحفة الالباب
لابي عبد الله محمد بن محمد الحسني
ابن سليمان ...
القيسي ...
رحمه
الله
آمين